الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة

علوم القرآن

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس - لغة وأدب عربي -
((السداسي الأول))

إعداد الدكتور: بن ساري مسعود

الموسم الجامعي 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمادة

التعريف بالمادة

عنوان الليسانس: الأدب العربي
السداسي: الأول
الفئة المستهدفة: السنة الأولى، جذع مشترك، لغة وأدب عربي (ل.م.د)
اسم الوحدة التعليمية: المنهجية
اسم المادة: ((علوم القرآن)) محاضرة.
الحجم الساعي: سداسية (21 ساعة)
المعامل: 01
الرصيد: 01

أهداف تعليم المادة وفوائدها:

- ✓ بيان علاقة القرآن بالعلوم اللغوية والأدبية وأثره فيها
- ✓ كشف بعض بلاغة القرآن وأساليبه المعجزة
- ✓ بيان خيرية القرآن وفضله على الإنس والجن وكل الكائنات
- ✓ تضمن القرآن لعلوم الدنيا والآخرة، وبيان بعض تلك العلوم.
- ✓ الحض والحث على حفظ ما تيسر منه وتلاوته وتدبره، طلبا للأجر، ورضا الرب.
- ✓ تحسين مستوى الطالب في لغته وأسلوبه وشواهده وفصاحته وبيانه.
- ✓ التقدم الحضاري، بفضل القرآن، ففي ثنايا سوره تتجلى تجارب الأمم، وتاريخ البشرية، وحياة الأنبياء، وسير الجبابرة والطغاة، ومن كل ذلك نتعلم ونتعظ.
- ✓ الفهم الصحيح للقرآن، بفضل التعرف على علومه، مثل أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.
- ✓ تضمن القرآن علوما ومعارف، وجاء بأحكام وتشريعات في معالجة الأمراض الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية.

المعارف المسبقة المطلوبة:

- ✓ الكتب السماوية التوراة والإنجيل والزابور وصحف إبراهيم وصف موسى والقرآن
- ✓ الأنبياء والرسل، وصفاتهم.
- ✓ القرآن الكريم وأول ما نزل منه ومكان نزوله
- ✓ تفسير القرآن، وأشهر كتبه، والوحي الإلهي وطرقه.

- ✓ القصص القرآني، وأشهر قصصه.
- ✓ القرآن معجزة محمد الخالدة المحفوظة في الصدور والسطور.

المصادر والمراجع:

- ✓ فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، لعبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)
- ✓ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ = 1392م)
- ✓ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ = 1505م)
- ✓ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، طاهر بن أحمد الجزائري (ولد: 1852م * توفي: 1920م)
- ✓ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ = 1948م)
- ✓ من روائع القرآن -تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل-، محمد سعيد رمضان البوطي (ولد: 1929م * توفي: 2013م)
- ✓ التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني (ولد: 1930م * توفي: 2021م)

مفردات المادة

مفردات المادة

المحاضرة: 01	تعريفات، أهمية القرآن، وعلومه، القرآن في الدراسات اللغوية والأدبية
المحاضرة: 02	تاريخ القرآن 1-نزول القرآن. بدايات الوحي، التنجيم
المحاضرة: 03	2-مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب سور وآيات القرآن (وقفية أم اجتهادية)
المحاضرة: 04	مكونات النص القرآني1: -اللفظة، العبارة، الآية، السورة
المحاضرة: 05	مكونات النص القرآني2: -القصة القرآنية، خصائصها، أهدافها.
المحاضرة: 06	سياقات النص القرآني: 1-السياق السببي، أسباب النزول 2. - السياق المكاني: المكي والمدني
المحاضرة: 07	3-السياق التراتبي: أول وآخر ما نزل، الناسخ والمنسوخ
المحاضرة: 08	4-السياق التداولي: (القراءات القرآنية، مفهومها، أنواعها، الحكمة منها)
المحاضرة: 09	مناهج التفسير ونقدها:1-معنى التفسير والتأويل والشرح، شروط المفسر (العلمية والذاتية)، تاريخ التفسير، (في عهد الصحابة، والتابعين وعصر التدوين)
المحاضرة: 10	مناهج التفسير ونقدها -2- التفسير بالمأثور: خصائصه، أعلامه، نقده. التفسير بالرأي: أعلامه، نقده
المحاضرة: 11	مناهج التفسير ونقدها -3- التفسير اللغوي: خصائصه، أعلامه، نقده
المحاضرة: 12	مناهج التفسير ونقدها -4- التفسير البياني والأدبي: خصائصه أعلامه، نقده
المحاضرة: 13	الإعجاز القرآني -1- الإعجاز اللغوي والبياني
المحاضرة: 14	الإعجاز القرآني -2- الإعجاز الإخباري والتشريعي

مقدّمة

مقدمة

هذه أربع عشرة محاضرة عبر الخط في مادة: "علوم القرآن"، أعددتها لطلبة السنة الأولى ليسانس جذع مشترك لغة وأدب عربي. وقد أعددتها وفق مفردات البرنامج المقرر في عرض التكوين، واجتهدت أن أسلك فيها المسلك السهل، والأسلوب المعروف، مع مراعاة الحجم الزماني للحصة، والمستوى العلمي للطلبة، والاستفادة منها عن بعد وانفراد.

وليس يخفى ما للقرآن وعلومه من أثر وتأثير على اللغة العربية وآدابها، وعلى دارسيها وطلابها؛ ذلك أن القرآن الكريم كلام الله المعجز، ومعجزة رسوله الخالدة -صلى الله عليه وسلم-، هذا القرآن الذي بهر فصحاء العرب وبلغاءهم، بألفاظه ومعانيه، وأخباره وأمثاله، ومواعظه ونواهيه.

ولربما سأل سائل: ما الحاجة إلى دراسة القرآن لطالب الأدب العربي؟ في إشارة منه إلى أنّ في ذلك خلطا بين الإسلاميات والآداب. وقد أجاب عن ذلك العلامة محمد سعيد رمضان البوطي فيما معناه: إن في القرآن جانبا تشريعيا، يطلبه طالب الفقه والتشريع؛ وفيه جانب متعلق بالعقيدة والفلسفة، حري بطلبه طالب العقيدة والفلسفة. كما أن فيه جانبا لغويا عربيا فصيحا غير ذي عوج، ما أحوج طالب اللغة والأدب العربي إليه. وعلوم القرآن مباركة زكية، زيادة على ما ذكرنا لها من مزية.

ولقد دأب أعداء الأمة جاهدين، في محاولة إبعاد هدي القرآن ونوره عن حياة المسلمين، لعلمهم بخطره ومكانته وأثره في إحياء الأمة، وإصلاح الشباب، والتفوق الحضاري، وحل مشكلات كل عصر. وإننا إذْ نجد مادة علوم القرآن ضمن برامجنا الدراسية لطلبة اللغة والأدب نستبشر خيرا، فهي من الفائدة بمكان، في إصلاح اللسان والجِنان.

وقد وُفِّق المعنيون في اختيار مفردات المادة، حيث شملت كل علومه، مع الوقوف على بعض مسائله المختلف فيها. وإني إذ أتشرف بتدريس مادة علوم القرآن الكريم، أسأل الله التوفيق والسداد، ولطلبتنا النجاح والرشاد، من هذه الدروس التي جمعتها من قديم المصادر وحديثها، مراعيا الاختصار من غير خلل، وحينا الإطالة دون ملل.

والله نسأل التوفيق والسداد وعموم الفائدة بها

المحاضرة الأولى

تعريفات:
أهمية القرآن وعلومه، القرآن في الدراسات اللغوية والأدبية

تعريف القرآن لغة:

القرآن مصدر قرأ، مرادف للقراءة. ولكلمة قرآن معنيان: أحدهما لغوي، وهو مصدر بمعنى القراءة، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 17-18]. وثانيهما: عَلَم شخصي على ذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الغالب، ومنه قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[الإسراء: 9]. وهناك من يرى أن كلمة قران من غير همزة غير مشتقة من القراءة، وإنما هي اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل في علميتهما. وتطلق كلمة قرآن وقران على القرآن كله وعلى بعضه فيقال لمن قرأ آية أو آيات: إنه قرأ قرآنًا.

تعريف القرآن اصطلاحا:

عرفه الأصوليون والفقهاء وأهل العربية: اصطلاحا بأنه: "كلام الله المنزل على نبيه «محمد» صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»؛ أنزله الله ليكون دستورا للأمة، وهداية للخلق، وآية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد خرج بقولنا: المنزل على نبيه «محمد» المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة والإنجيل والزبور والصّحف.

وخرج بالمعجز بلفظه المتعبد بتلاوته الأحاديث القدسية على الرأي بأن لفظها من عند الله، فإنها ليست معجزة ولا متعبد بتلاوتها. وخرج بقولنا (المنقول بالتواتر) جميع ما سوى القرآن المتواتر من منسوخ التلاوة. والقراءات غير المتواترة سواء نقلت بطريق الشهرة كقراءة «ابن مسعود» في قوله تعالى في كفارة الأيمان فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ [المائدة: 89] بزيادة متتابعات، أو بطريق الآحاد مثل قراءة: متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان [الرحمن: 76] بالجمع فإنها ليست قرآنا؛ ولا تأخذ حكمه.

وعرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: 2] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1]

تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن: علم إسلامي عربي في نشأته وتكوينه، بدأ بنزول القرآن الكريم، ولا يزال يتطور ويتوسع إلى يومنا. و"علوم القرآن هي البحوث التي تتعلق بالقرآن، من حيث النزول والجمع والترتيب والتدوين ومعرفة أسباب النزول والمكي منه والمدني ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغير ذلك"[2]. وموضوعه القرآن من ناحية من النواحي المذكورة.

فائدة دراسة علوم القرآن:

علوم القرآن هي الضابط لطريقة التعامل مع القرآن من حيث تلاوته وفهمه وتفسيره، والانتفاع به علما وعملا، الإلمام بتاريخ القرآن، ومدى عناية الأمة به، الوقوف على حجية القرآن وإعجازه وحقية صدقه من عند الله، نيل البركة والفوز في الدارين والحياة الطيبة السعيدة.

أسماء القرآن وصفاته:

للقرآن الكريم أسماء كثيرة: أشهرها: «**القرآن**» ومنها «الفرقان» لأنه فارق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1]. ومنها: «**الكتاب**» وهو مصدر لكتب بمعنى: الجمع والضم، أريد به القرآن لجمعه العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه، قال تعالى: ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾ [الكهف: 1-2].

ومنها: «**التنزيل**»، مصدر أريد به المنزل، لنزوله من عند الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:41-42].

ومنها: «**الذكر**» سمي به القرآن، لاشتماله على المواعظ والزواجر، وقيل: لاشتماله على أخبار الأنبياء، والأمم الماضية، وقيل من الذكر، بمعنى: الشرف، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ**﴾ [الزخرف: 44] أي شرف لأنه نزل بلغتكم، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾ [الحجر: 9].

وهذه الأربعة هي أشهر الأسماء بعد لفظ «**القرآن**». "قال الجاحظ: سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل. سمى جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية"[3]. وقد صارت تلك الأسماء أعلاما بالغلبة على القرآن في لغة العرب، ومن العلماء من أحصى من أسماء القرآن العشرات، و"كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمَّى أو كمالِه في أمر من الأمور"[4]،

كما سمى الله كتابه بأسماء كثيرة، فقد وصفه بصفات كثيرة، كلها تدل على رفعة مكانته، وعلو شأنه، وأنه أعظم وأشمل كتاب سماوي، ومن صفاته: نور، هدى، رحمة، شفاء، موعظة، عزيز، مبارك، كريم، بشير، نذير.

فضائل القرآن:

وردت آثار كثيرة في فضائل القرآن وعلومه، منها ما هو متعلق بفضل التعلم والتعليم، ومنها ما هو متعلق بالقراءة والترتيل، ومنها ما له علاقة بحفظه وترجيعه؛ كما وردت آيات عديدة في كتاب الله عز وجل تدعو المؤمنين على تدبره وتطبيق أحكامه، وإلى الاستماع والإنصات عند تلاوته. نذكر من ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:29]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204].

ومن الأحاديث الشريفة:

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))[5]. وقال صلوات الله عليه: ((الْمَاهِرُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، يَتَتَعْتَعُ فِيهِ، لَهُ أَجْرَانِ اثْنَانِ))[6]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ))[7]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((اقرؤوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ))[8]. وقال صلوات الله عليه: ((إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم))[9].

القرآن والدراسات اللغوية والأدبية:

أن المكتبة العربية كلها بعلومها المختلفة الكثيرة، إنما انبثقت عن القرآن وتفرعت عنه، فعلم العربية بفروعها من أدب وبلاغة وقواعد ولغة، من علوم القرآن. والشريعة الإسلامية بفروعها من الفقه والأصول، والتفسير والحديث والتوحيد، من علوم القرآن. والتاريخ وكثير من مسائل الكونيات وأصول البحث من علوم القرآن. قال الزركشي: "وكل علم من العلوم منتزع من القرآن وإلا فليس له برهان"[10].

وقال ابن النقيب المقدسي: "أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة، وأنواع الجزالة وفنون البيان، وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألغى بلاغة البلغاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه حلومهم علومهم وكلت ألسنتهم الذربة، وأقصرت خطبهم المسهبة، وقصائدهم المغربة، وأراجيزهم المعربة، وأسجاعهم المطربة"[11]. وبهذا كان هذا القرآن أفصح لغة العرب وأبلغ آدابهم.

علاقة علوم القرآن بالأدب:

ولعل سائلا يسأل: ما حاجة طالب الأدب إلى علوم القرآن؟ معتقدا ان في ذلك خلطا بين الآداب والإسلاميات. وقد أجاب العلامة رمضان البوطي: " والجواب، أن لهذا الكتاب العظيم أهمية بالغة من جوانب مختلفة متعددة. فإن له جانبا تشريعيا هاما، لا ينفكّ عن الحاجة إلى دراسته كل متطلّع إلى دراسة الفقه والتشريع. وإن له مع ذلك جانبا متعلقا بالعقيدة والفلسفة والأخلاقيات، لا ينفكّ عن الحاجة إلى دراسته كل مقبل إلى دراسة العقائد أو الفلسفة أو الأخلاق، كما أن له مع ذلك جانبا أدبيّا أصيلا بعيد الجذور في تاريخ الأدب العربي، عظيم الأثر في توجيهه وتطويره وتقويمه، فمن أجل ذلك كان لا بدّ لمن أراد

العكوف على دراسة العربية وآدابها من أن يعكف على دراسة القرآن وعلومه، وكلما ابتغى مزيدا من التوسع في العلوم العربية وثقافتها، احتاج إلى مزيد من التوسّع في دراساته القرآنية المختلفة"[12].

أن هذا الكتاب العربي المبين، هو أول كتاب ظهر في تاريخ اللغة العربية، وإنما نشأت حركات التدوين والتأليف بعد ذلك على ضوئه وسارت بإشراقه، وتأثرت بوحيه وأسلوبه. إنه بحفظ القرآن حفظت اللغة العربية ومعجمها اللغوي. ثم ترقية اللغة العربية وتقويتها؛ قال بروكلمان: بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن اللغة العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم ان يستعملوه في صلواتهم، ولهذا السبب اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفعة فاقت جميع لغات الدنيا"[13].

والقرآن ارتقى بالعرب والعربية من البداوة إلى الحضارة، ومن اللفظ الغريب إلى السهل، ومن الانطواء إلى العالمية. وبفضل القرآن توحدت اللهجات المعينية والسبئية والقتبانية واللحيانية والثمودية والصفوية والحضرمية؛ وهي كلها لهجات عربية مختلفة في النطق والترقيق والتفخيم والإعلال والإبدال والبناء والإعراب. وقبل القرآن لم يكن هناك اتفاق بين القبائل على البلاغة والجمال والتعبير، فلكل جماعة أو قبيلة ما تتذوقه من ذلك[14].

المحاضرة الثانية

تاريخ القرآن(1):
نزول القرآن، بدايات الوحي، التنجيم

أولا: نزول القرآن:

هذا المبحث من المباحث المهمة؛ إذ به يعرف تنزلات «القرآن الكريم» ومتى نزل، وكيف نزل، وعلى من نزل، وكيف كان يتلقاه جبريل- عليه السلام من الله تبارك وتعالى، وعلى أي حال كان يتلقّاه الرسول- صلوات الله وسلامه عليه- من جبريل.

النزول في اللغة:

النزول في اللغة الهبوط من أعلى إلى أسفل. وجاءت في المعجم معان أخرى هذا نصها مع التوضيح والتميل: "نزَل الشَّخصُ/ نزَل الشَّيءُ: وقع، هبط من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ "نزَل المطرُ- نزلتِ الطَّائرةُ/ حرارةُ المريض- نزَل مستوى المرشَّحين- نزلتِ الفتاة من الشرفة إلى الحديقة- ((وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)). نزَلتِ الأسعارُ: هبطت، تدنّت- نزَل عليه بالسّوط: ضربه به- نزَل عن الأمر/ نزَل عن الحقّ: تركه"[15]. وهكذا فالمعنى الأساسي للنزول في اللغة هو الوقوع والهبوط من علو إلى سفل. والنزول في استعمال اللغة يطلق ويراد به الحلول في مكان والأوي به. ومنه قولهم نزل الأمير المدينة.

الفرق بين النزول والهبوط:

وأهل اللغة لا يؤمنون بوجود كلمة مرادفة لكلمة أخرى في معناها بنسبة مائة في المائة، وإنما تقاربها في المعنى، مع وجود فروق بينهما. ف"الفرق بين الهبوط والنزول: أن الهبوط نزول يعقبه إقامة، ومن ثم قيل هبطنا مكان كذا أي نزلناه ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ [البقرة: 61]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الأعراف: 24]. ومعناه انزلوا الأرض للإقامة فيها، ولا يقال هبط الأرض إلا إذا استقر فيها ويقال نزل وإن لم يستقر"[16].

النزول في الاصطلاح:

إن المعنى اللغوي الذي ذكرناه لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن، ولا في نزول القرآن من الله، لما يلزم هذا المعنى من المكانية والجسمية. والقرآن ليس جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو إلى سفل (..) إذن فنحن بحاجة إلى التجوز، والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح. وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو **الإعلام** في جميع إطلاقاته[17]. وبالجملة فإن نزول القرآن اصطلاحا يكون على نحو يليق بالقرآن، ونفوّض كيفية ذلك إلى الله عز وجل.

صفة نزول القرآن الكريم:

للقرآن الكريم وجودات ثلاثة: وجوده في اللوح المحفوظ، ووجوده في السماء الدنيا، ووجوده في الأرض بنزوله على النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يقترن لفظ «النزول» إلا بالوجود الثاني والثالث، أما الوجود الأول، فلم يرد لفظ «النزول» مقترنا به قط، وعلى هذا: فلا ينبغي أن نسميه نزولا أو تنزلا[18]. قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [سورة البروج: 12-22]. وكان هذا الوجود في اللوح المحفوظ بطرقة وفي وقت لا يعلمه إلا الله، فوجب الإيمان به مع تفويض علم كيفيته إلى الله عز وجل.

إذن فللقرآن الكريم تنزلان؛ **التنزل الأول:** من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا (جملة واحدة في ليلة واحدة)، وهي ليلة القدر من شهر رمضان. ودليل هذا التنزل ثلاث آيات؛ قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: 185]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: 3]. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: 1].

وقد "قيل السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه"[19]

أما **التنزل الثاني:** فمن بيت العزة من السماء الدنيا إلى الأرض (مفرقا)، في مدة ثلاث وعشرين سنة. وهي من حين البعثة إلى حين وفاته، والدليل على هذا النزول أنه نزل منجما قوله تعالى: ﴿**وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا**﴾ [الإسراء: 106]. وقوله عز وجل: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا**﴾ [الفرقان: 32].

وقد روي أن اليهود والمشركين عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم نزول القرآن مفرقا، حتى قال اليهود: يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى، فأنزل الله هاتين الآيتين ردًّا عليهم، وفي ذلك دليل على أن القرآن نزل مفرقا على نبيه، وأن الكتب السماوية قبله نزلت جملة واحدة[20]. وهكذا قد جمع الله للقرآن الصفتين في النزول: جملة ومفرقا.

ملاحظة: من قال: إن جبريل أخذ القرآن عن الكتاب، ولم يسمعه من الله، فقوله باطل، مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

حكمة تعدد النزول:

وفي تعدد النزول وأماكنه مرة في اللوح وأخرى في بيت العزة وثالثة على قلب النبي صلى الله عليه وسلم: في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمان وباعث على الثقة فيه لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه وأدعى إلى تسليم ثبوته وأدنى إلى وفرة الإيقان به مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود واحد[21]

بدايات الوحي:

بدأ نزول القرآن الكريم في السابع عشر من رمضان، لأربعين سنة خلت من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حين كان يتعبد في غار حراء، إذ نزل عليه جبريل عليه السلان بقوله تعالى: ﴿اِقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]. روى البخاري عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ).

قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ}). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي). فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي). فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ). قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ"[22]. ثم فتر الوحي مدة، ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾** [المدثر: 1-5].

التنجيم:

"نجَّمَ ينجِّم، تنجيمًا، فهو مُنجِّم، والمفعول مُنجَّم (للمتعدِّي). نجَّم الشّخصُ: تاتي بمعنى 1 -راقب النُّجومَ بحسب مواقيتها، وسيرها. 2 -ادَّعى معرفة الأنباء بمطالِع النُّجوم "ازدهر التنجيم في القرون الوسطى". ونجَّم الشَّيءَ: قسَّطه أقساطًا "نجَّم عليه الدَّيْن-نزل القرآن منجّمًا: مُفَرَّقًا"[23]. والمعنى الأخير أي التقسيط والتفريق هو الأنسب لمصطلح التنجيم في علوم القرآن، أي نزل كالنجوم المفرقة.

• نجَّم الكتابَ: وضع فيه رموزًا طباعيّة على شكل ثلاث نجمات تبيّن أهمّ الفقرات فيه. يضم الوحي في مجموعه ثلاثة وعشرين عاماً، فهو لا يكوّن ظاهرة مؤقتة أو خاطفة. ولقد نزلت الآيات منجمة (مفرقة)،

بين كل وحي وما يليه مدة انقطاع تتفاوت طولاً وقصراً. يقول تعالى: ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: 106]، وقد احتج المشركون على ذلك فقالوا: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: 32].

حكمة نزول القرآن منجما:

لنزول القرآن منجما (مفرقا) حكم جليلة وأسرار عديدة، يمكن ان نجملها فيما يأتي وهي:

1/ تثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم أمام أذى المشركين.
2/ التلطف بالنبي عند نزول الوحي
3/ التدرج في نزول الاحكام السماوية
4/ تسهيل حفظ القرآن وفهمه على المسلمين.
5/ مسايرة الحوادث والوقائع، والتنبيه عليها في حينها.
6/ الإرشاد على مصدر القرآن وانه تنزيل رب العالمين.

المحاضرة الثالثة

تاريخ القرآن(2):
مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب السور والآيات
(وقفية أم اجتهادية)

1. المراد بجمع القرآن:

كلمة جمع القرآن تطلق تارة ويراد منها حفظه واستظهاره في الصدور. وتطلق تارة أخرى ويراد منها كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسورا. هذا جمع في الصحائف والسطور وذاك جمع في القلوب والصدور. ثم إن جمعه بمعنى كتابته حدث في الصدر الأول ثلاث مرات: الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والثانية في خلافة أبي بكر والثالثة على عهد عثمان وفي هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف وأرسلت إلى الآفاق[24]

2. مراحل جمع القرآن:

جمع القرآن بالمعنى الثاني، أي الكتابة بالسطور، ومرَّ بأطوار ثلاثة:

* جمعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
* جمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق- رضي الله عنه.
* جمعه في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان- رضي الله عنه

3. جمع القرآن في عهد النبي:

1.3. الجمع في الصدور:

منذ ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول الأمين، والنبي صلى الله عليه وسلم يحفظه، ويعرضه على جبريل ويتدارسه، وكان يخشى تفلته فكان يقوم به الليل ويستعجل في قراءته، فنزل عليه قوله تعلى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: 17-19] وإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلَّا وقد جمع القرآن في صدر طائفة من الصحابة، قيل: إن عددهم مائة أو يزيدون، ونحن نرى أنهم كانوا أكثر من ذلك عددًا، فإنه قتل من القرَّاء في إحدى مواقع الردة عدد يزيد على السبعين، وقيل: على سبعمائة، وربما كان الأول أدق، فإذا كان ذلك العدد مقتولًا فالباقي بحمد الله تعالى

2.3. الجمع في السطور:

كان النبي (ص) يأمر من حوله ممن يحسنون الكتابة أن يكتبوه، وقد سمي أولئك الذين كتبوا القرآن بكتاب الوحي، ومنهم: عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وغيرهم كثير ممن كانوا يحضرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي بالقرآن عليه، فيملي عليهم ما نزل، ويعلمون ما

حفظه في حفظه الكثيرون من الصحابة، وخصوصًا من كانوا له عليه الصلاة والسلام ملازمين، وعلى مقربة منه صلى الله عليه وسلم.

4. أشهر كتاب الوحي: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، والخلفاء الراشدون، وغيرهم من الصحابة.

5. معايير ترتيب السور والآيات:

إن ترتيب الآيات القرآنية والسور على ما هي عليه الآن أمر توقيفي من رسول الله (ص) وحكى بعضهم الإجماع على ذلك. وأكد السيوطي على ذلك بقوله: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. وذهب كثير من العلماء إلى أن ترتيب السور في المصحف توقيفي، وأن هذا الترتيب محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن في زمنه مصحف مكتوب، وأن زيد بن ثابت حين جمع القرآن في الصحف رتبه على ذلك الترتيب باجتهاد.

ومن المعروف أن ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد على تأريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءته للقرآن وتعليمه ذلك للصحابة. ولم يعد تأريخ نزول الآيات والسور محفوظا على نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة إلى حفظه على نحو ما يقرأه لهم النبي صلى الله عليه وسلم.

6. جمع القرآن في عهد أبي بكر:

1.6. في سبب جمع أبي بكر للقرآن:

كان الباعث على كتابة القرآن في عهد أبي بكر، خوف ضياع شيء منه بموت الكثير من القراء والحفاظ في الحروب، وقد يكون عند أحدهم شيء من القرآن المكتوب يضيع بموته، وقد علمنا أن الاعتماد في الجمع كان على الحفظ والكتابة ولذلك كانت العناية بالغة بالصحف التي جمعت في عهد أبي بكر فكانت عنده حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة حتى طلبها منها عثمان رضي الله عنه في الجمع الثالث[25].

2.6. في قصة جمع أبي بكر للقرآن:

"ثَبَتَ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْقِتَالَ قَدْ اسْتَحَرَّ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاَللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْت فِيهِ الَّذِي رَأَى.

قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّك شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُك، قَدْ كُنْت تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَوَ اَللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ. قُلْت: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاَللَّهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَتَتَبَّعْت الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الرِّقَاعِ وَالْعُسُبِ، وَذَكَرَ كَلِمَةً مُشْكِلَةً تَرَكْنَاهَا. قَالَ زَيْدٌ: فَوَجَدْت آخِرَ بَرَاءَةٍ مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ [التوبة: 128]"[26]

3.6. خطة جمع أبي بكر للقرآن:

كان أبو بكر شديد الحرص شديد التحري في كتابة المصحف، فقد روي أنه قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه، منقطع رجاله ثقات، وقد اختلف في المراد بالشاهدين، فقال الحافظ ابن حجر: المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، وقال السخاوي: المراد بالشاهدين أنهما يشهدان أن ذلك مكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غرضهم أن لا يكتب القرآن إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ، وبهذا تعلم أنهم بالغوا في التوثق في كتابة القرآن، فلم يقبلوه إلا من المصدرين معا، وهما الحفظ والكتابة[27].

4.6. مزايا مصحف أبي بكر:

وكتابة القرآن في عهده ليست بمحدثة، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها القرآن منتشرًا، فجمعها جامع وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء"

أ - اقتصر فيه على ما لم تنسخ تلاوته وجرده من كل ما ليس بقرآن.
ب - لم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.
ج - كان مكتوبا بجميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.
د - كان مرتب الآيات على الوضع الذي نقرأه اليوم، ولم يكن مرتب السور، فكانت كل سورة مستقلة في الكتابة بنفسها في صحف، ثم جمعت هذه الصحف وشدت بعضها إلى بعض

7. جمع القرآن في عهد عثمان:

1.7. في سبب جمع عثمان للقرآن:

السبب الباعث على جمع عثمان هو رفع الاختلاف والتنازع في القرآن، وقطع المراء فيه، وذلك بجمع الناس على القراءة بحرف واحد، وهو لغة قريش، وأما قبله فكانت الصحف مكتوبة بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وما تحتمله من قراءات، وقد وفق الله عثمان لهذا العمل الجليل الذي رفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأمة، فرضي الله عنه وأرضاه.

وبعبارة أخرى لما كان عهد عثمان رضي الله عنه، وتفرق الصحابة في البلدان وحمل كل منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس عند

غيره، اختلف الناس في القراءات، وصار كل قارئ ينتصر لقراءته، ويخطئ قراءة غيره وعظم الأمر، واشتد الخلاف، فأفزع ذلك عثمان رضي الله عنه، وخشي عواقب هذا الاختلاف السيئة في التقليل من الثقة بالقرآن الكريم وقراءاته الثابتة، وهو أساس عروة المسلمين، ورمز وحدتهم الكبرى.

2.7. في قصة جمع عثمان للقرآن:

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق أبي قلابة قال: لما كان عهد عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا؛ فبلغ ذلك عثمان فقال: أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا!! وقد تحقق ظنه لما جاء حذيفة بن اليمان وأخبره بما وقع بين أهل الشام والعراق من الاختلاف في القراءة في غزوة أرمينية.

فهاله الأمر، وتشاور هو والصحابة فيما ينبغي، فرأى ورأوا معه أن يجمع الناس على مصحف واحد، لا يتأتى فيه اختلاف، ولا تنازع، فأرسل إلى حفصة رضي الله عنها: أن أرسلي إلينا بالصحف التي كتبت في عهد أبي بكر ثم انتقلت بعد موته إلى عمر ثم بعد عمر إلى حفصة؛ لتكون أساسا في جمع القرآن جمعا يقلل من الاختلاف والتنازع. ثم عهد عثمان إلى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا الصحف في مصاحف وقال للرهط القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. (روي أنهم اختلفوا في كتابة التابوت فقال زيد بن ثابت: إنما هو التابوة بالهاء وقال الرهط القرشيون إنما هو التابوت بالتاء فرجعوا إلى عثمان فقال: اكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم)

فقاموا بمهمتهم خير قيام وكتبوا المصاحف مرتبة السور على الوجه المعروف اليوم فلما انتهوا أرسل عثمان إلى كل مصر من الأمصار المشهورة بمصحف ليجتمع الناس في القراءة عليه، تلافيا لما حدث في ذلك الوقت من الاختلاف والتنازع، وأمر بما سواها من المصاحف أن يحرق، أو يخرق، وبذلك وفق الله عثمان والصحابة لهذا العمل الجليل، ثم رد الصحف إلى حفصة فبقيت عندها إلى أن توفيت، فأرسل مروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر عقب انصرافه من جنازتها أن يرسل إليه هذه الصحف فأرسلها إليه فأمر بها مروان فشققت، وفي رواية أنه أمر بها فغسلت، وفي رواية أخرى أنه حرقها.

3.7. مزايا مصحف عثمان:

أ - الاقتصار فيه على حرف واحد وهو حرف قريش.

ب - الاقتصار فيه على ما ثبت بالتواتر وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة، ولم يكتبوا ما ثبت بطريق الآحاد، ولا منسوخ التلاوة.

ج - ترتيب آياته وسوره على الوجه المعروف اليوم.

د - تجريده من النقط والشكل ومن كل ما ليس بقرآن بخلاف ما كان مكتوبا عند بعض الصحابة فقد كان فيه بعض تأويلات وتفسيرات لبعض ألفاظه.

المحاضرة الرابعة

مكونات النص القرآني(1):
اللفظة، العبارة، الآية، السورة

مدخل:

القرآن كلام جاء بلغة العرب معجزا، ودليلا على نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم-، فهو إذا حروف وكلمات وعبارات، لم تختلف عن كلام العرب وطريقتهم في التعبير إلا في النظم، كما أثبت ذلك عبد القاهر الجرجاني.

اللفظة القرآنية:

يشير شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجانى في كتابه "دلائل الإعجاز" إذ يقول: " والألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، ولكن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر "[28].

قال ابن عطية: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجِد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام"[29].

يمكن إجمال الخصائص والاعتبارات التي تميزت بها ألفاظ وكلمات القُرْآن في النقاط التالية:

أولًا: روعة اللفظ القُرْآني في نفسه:

فالقُرْآن يتأنق في اختيار ألفاظه، ويضعها في الموضع الذي تؤدي فيه معناها بدقة، بحيث لا يصلح فيه سواها؛ ولذلك لا تجد في القُرْآن ترادفًا، بل كل كلمة تحمل معنى جديدًا، ولا تجد في القُرْآن كلمة معيبة من حيث صورة اللفظ، (حروفه، وحركاته، وسكناته)، ولا استعماله، ولا تجد فيه لفظًا قلقًا مضطربًا أو نابيًا في موضعه.

قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾

إن القُرْآن يؤثِر استخدام الألفاظ القصار الثلاثية الأصول، أو الرباعية الأصول، والثلاثية فيه أوفر عددًا من الرباعية؛ ففي القُرْآن الكريم ألف وستمائة وأربعون أصلًا ثلاثيًّا (1640) يتفرع منها ما يزيد على خمسين ألف لفظة، وهي تزيد على نسبة ثمان وتسعين بالمائة (98%) من مفردات القُرْآن، وغير الثلاثي لا يزيد على ثمانمائة لفظة، أما الألفاظ خماسية الأصول فهذه لم يرد منها في القُرْآن شيء؛ لأنه لا وجه للعذوبة في استعمالها، وقد يسبب استعمالها الثقل على اللسان، اللهم إلا ما كان من اسم عرب ولم يكن في الأصول عربيًّا؛ كإبراهيم، وإسماعيل، وطالوت، وجالوت... ونحوها؛ ولا يجيء به مع ذلك إلا أن يتخلله المد كما ترى، فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان[4].

يكني عما يكون بين الرجل وزوجته بألفاظ غاية في النزاهة والشرف.
فمرة يكني عنه بالإتيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ**﴾ [البقرة: 223]
ومرة يكني عنه بالرفث، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾ [البقرة: 187]
وأخرى يكني عنه بالغشيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا** ﴾ [الأعراف: 189]
وأخرى يكني عنه بالقربان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ [البقرة: 222]
وأخرى يكني عنه باللمس، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ [النساء: 43]
وأخرى يكني عنه بالمسّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾ [آل عمران: 47، مريم: 20]
وأخرى يكني عنه بالنكاح، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾]البقرة: 23].
وأخرى يكني عنه بالمباشرة، وذلك في قوله تعالى :﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [البقرة: 187]

قلت: وذلك كله في جانب الحلال، أما في جانب الحرام فقد شاع كلمة الزنا، وقد تستعمل كلمات أخرى في الدلالة على هذا المعنى تنفيرًا وترهيبًا، مثل: الفاحشة في سورة النساء آية (15)، البهتان في سورة النور آية (16)، البِغاء في سورة النور آية (33)، السوء، السفاح في سورة النساء آية (24، 25)، الإفك في سورة النور آية (11، 12).

ومن خصائص اللفظ القرآني الدقة في التعبير والدلالة، مثل قوله تعالي: ((واستوت على الجودي)) الاستواء غير الرسو او الاستقرار. وقوله تعالى: ((فأكله الذيب)) بدل افترسه، لأن الافتراس يعني القتل ودق العنق، دون الأكل، وفي هذه الحال يقول أبوه ايتوني بجثته.

وبالنسبة لعدد حروف القرآن، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن مجاهد -رحمه الله- أنه قال :هذا ما أحصيناه من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا (320015). وأما كلمات القرآن، فهي: سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة. (77439).

وأما آياته، فهي: ستة آلاف آية، (6000) واختلف فيما زاد على ذلك على عدة أقوال، فمنهم من قال: مئتا آية وأربع آيات (6114)، وقيل: أربع عشر آية (6014)، وقيل: مئتان وتسع عشرة آية (6219)، وقيل: مئتان وخمس وعشرون آية (6225)، أو ست وعشرون (6226)، وقيل: مائتان وست وثلاثون آية (6236). وأما سور القرآن، فمائة وأربع عشرة (114) سورة.

هل هناك ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم؟

ورد سؤال إلى دار الإفتاء المصرية من سائل يسأل عن مدى وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم؟ وهل وجود هذه الألفاظ في القرآن الكريم يتنافى مع كونه قرآنًا عربيًّا؟

وأجاب الدكتور شوقي علام، مفتي الديار المصرية بأن الله تعالى أنزل القرآن الكريم بلغة العرب، وما ورد فيه من ألفاظ أصلها غير عربيّ فإنَّ العرب قد استعملتها وصارت مألوفة لهم، وأجروا عليها قواعد لغتهم في الإعراب والاشتقاق وغيرها فصارت ألفاظًا عربية صالحةً لوقوعها في القرآن، ولا يقدح ذلك في كون القرآن الكريم كله عربيًّا.

العبارة:

العبارة أو الجملة، الكلام المفيد، وقد تكون آية، أو بعض آية، من خصائصها التلاؤم والاتساق بين كلماتها. قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ الدلالة بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل قال تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ**﴾، إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحس الملموس قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾

الآية:

الآية في اللغة، تطلق على عدة معانٍ منها:

1- المعجزة: ومنه قوله تعالى: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾ [البقرة: 211]

2- العلامة: ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [البقرة: 248]

3- العبرة: ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 49]

4- البرهان والدليل: ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الروم: 22]

5- الأمر العجب، تقول العرب: "فلان آية في العلم وفي الجمال".

6- الجماعة، تقول العرب: "خرج القوم بآيتهم" أي بجماعتهم5.

الآية في الاصطلاح:

طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن.

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إلينا وهي علامة على صدق من جاء بها وفيها عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر وهي دليل وبرهان، على أن هذا القرآن من الله تعالى، وهي من الأمور العجيبة لسموها وبلاغتها وإعجازها وهي جماعة من الحروف، فمعانيها في اللغة موجودة في معناها الاصطلاحي.

الآية في الاصطلاح: مجموعة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن. والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية السالفة واضحة لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إليها ثم هي علامة على صدق من جاء بها صلى الله عليه وسلم وفيها عبرة وذكرى لمن أراد أن يتذكر وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف وفيها معنى

البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته وعلى صدق رسوله في رسالته[30].

والآية: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها معروفة بالسماع، مندرجة في السورة. وليس معنى انقطاع الآية عما قبلها وما بعدها، ألا يكون لها تعلق في المعنى بسابقتها أو لاحقتها، إنما المراد أن ما يعدّ آية هو الذي لا يكون جزءا من آية قبله أو آية بعده[31]

السورة:

قسم القرآن الكريم إلى مائة وأربع عشرة (114) سورة، سمّيت كل منها باسم خاص، أخذ من بعض ما عالجته السورة من المعاني، أو مما تحدث عنه، من إنسان مثل سورة نوح وهود ومحمد؛ أو حيوان مثل النمل والعنكبوت والفيل؛ أو غيرهما، أو من بعض كلماتها مثل الروم والنساء والمجادلة.

والسورة القرآنية قد تكون ذات موضوع واحد تتحدث عنه، ولا تتجاوزه إلى سواه، مثل كثير من قصار السور، كسورة النبأ والنازعات والانشقاق، وكلها تتحدث عن اليوم الآخر، والهمزة والفيل وقريش، وهي تتحدث عن عقاب من يعيب الناس، وما حدث لأصحاب الفيل، وما أنعم الله به على قريش من نعمة الألفة. وقد تتناول السورة أغراضا شتى، مثل معظم سور القرآن،

قيل في معنى السّورة أقوال أعدلها ما يأتي:

الأوّل: يقال (سورة) للمنزلة من البناء، فسمّيت (السّورة) من القرآن بذلك؛ لأنّها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، أو لأنّها درجة إلى غيرها. والثّاني: الشّرف والمنزلة، ومنه قول النّابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

فسمّيت (السّورة) من القرآن بذلك لشرفها ومنزلتها[32].

وهي في الاصطلاح: هي مجموعة من الآيات، مسماة باسم خاص، لها فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

المحاضرة الخامسة

مكونات النص القرآني(2):
القصة القرآنية، خصائصها، أهدافها

مدخل:

القصة في القرآن ليست قصة بالمفهوم الأدبي المتعارف عليه عند كتاب الرواية، ولا يمكن أن تكون كذلك، فالقرآن ليس رواية، وليست غايته سرد حادثة، وإنما غايته تحقيق هدف ينسجم مع رسالة القرآن.

القصص في اللغة والاصطلاح:

يقال في اللغة: "قَصَّ قَصَصْتُ، يَقُصّ، اقْصُصْ/ قُصَّ، قَصًّا، فهو قاصّ، والمفعول مَقْصوص• قَصَّ الشَّعْرَ ونحوَه: قصّره، قطعه بالمقصّ "قَصَصْتُ الثوبَ/ القماشَ" • قَصَّ أظافرَ المجرم: ردَعَه • قَصَّ جناح فلان: أضعفه • قصَّ ما بينهما: قطع الصِّلة بينهما • مقصوص الجناح: ذليل، عاجز، قصير الباع • قَصَّ القصَّةَ على أصدقائه: حكاها، رواها لهم، أخبرهم بها • قصّ عليه الرُّؤيا: أخبره بها • قصَّ أَثَرَ فلانٍ: راقبه، تتبّع أثَره[33].

و"القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن سلف ومنه قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ**﴾ [يوسف: 3] (..) وأصل القصص في العربية اتباع الشيء بالشيء ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ**﴾. وسمي الخبر الطويل قصصا لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص"[34].

"وقصص القرآن في الاصطلاح: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[35]. وهي حقائق تاريخية قاطعة لا خيالات متصورة محبوكة. وعرفه الرازي بقوله: "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين يرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"[36].

أهداف القصة في القرآن:

1- تصحيح العقائد الفاسدة وتبيت العقائدة الصحيحة، والتي أساسها: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والإيمان باليوم الآخر.

2- تقويم السلوك الفردي والجماعي مما عالجته قصة كل نبي للآفة التي شاعت في قومه، فقد شاع في مدين قوم شعيب تطفيف الميزان، وشاع في قوم موسى السحر، وغير ذلك.

3- تثبيت قلب النبي (ص) قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ**﴾ [هود: 120]

4- تأييد رسالة الرسول (ص) أن ما اتى به من وحي السماء لا سبيل للكذب إليه. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: 102]

5- العبرة والعظة لمن وهبه الله عقلا يتفكر ويتدبر. قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: 111]

6- تصديق الكتب السابقة، وانها من عن الله، وتفصيل ما اجمل فيها. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

7-إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الانبياء: 25]

8- تسيطر القصة بعناصرها الفنية على الأطفال والكبار، ويرغبون فيها أكثر من الأجناس الأدبية الأخرى، فيستغرقون فيها حتى النهاية، ربما في جلسة واحدة، مهما طالت، وذلك لبنائها الفني المحكم، الذي يعتمد على تطور الأحداث، وفاعلية الحركة، وحيوية عناصر التشويق، والإثارة، وتوقع الحلول، والرغبة في الخروج من الأزمة، وبالتالي يكون أثرها أقوى وأجدى.

9- مقارعة أهل الكتاب بالحجة والبرهان، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: 93].

أنواع القصص القرآني:

القصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[37].

خصائص القصص القرآني:

إن القصة في القرآن تقوم على أسس وخصائص فنية رائعة، فهي تحقق الغرض الديني عن طريق جمالها الفني، الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.

أ- العرض التصويري:

إن القرآن الكريم عند ما يأتي بالقصة لا يخبر بها إخبارا مجردا، بل يعرضها بأسلوب تصويري، يتناول جميع المشاهد والمناظر المعروضة، فإذا بالقصة حادث يقع ومشهد يجري، لا قصة تروى ولا حادثا قد مضى. فمن أمثلة القصص التي برز فيها العرض والإحياء: مشهد قصة نوح والطوفان وابنه. ومن أمثلة ما برز فيه تصوير العواطف والانفعالات: قصة مريم عند ميلادها عيسى عليهما السلام. ومن أمثلة ما برزت فيه الشخصيات: قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وقصة يوسف عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس.

ب- القصة القرآنية حقيقة تاريخية:

فهي ليست كالقصص البشري، الذي يعتريه الخيال المبالغ، والكذب، والمواراة. فمهما كانت القصة القرآنية عجيبة، يجب تصديقها، فالله لا يعجزه شيء سبحانه، ومثال ذلك حديث النملة في قصة سليمان، وحديث الهدهد، قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ**﴾

ج- حذف الثغرات بين الوقائع:

حذف مما لا حاجة فيه -من المشاهد- لفهم القصة أو سرد أحداثها، بطريقة فنية عجيبة، مثالها ما حذف من قصة موسى حين ورد ماء مدين، وسقى للبنتين وما بعدها. قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (..) قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ**﴾ [القصص: 22-28].

د- ذكر أسباب عرض القصة:

ويحرص القرآن في مجال القصة القرآنية إلى أن يدعو أثناء عرض القصة أو بعد الانتهاء منها إلى استخراج العبرة منها، وأحيانا يبتدئ القصة بذكر العبرة منها. ويؤكد هذا ما جاء في بداية قصة يوسف: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ**﴾ [يوسف: 7]، وهذا بيان وتوضيح لأسباب عرض القصة في القرآن، فالقصة ليست غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة يراد بها بيان الآيات التي تؤكد نبوة الأنبياء، وأن الله تعالى أعدهم لأمر وتكفل بأمرهم وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾ [يوسف: 21]، وجاء هذا المعنى واضحا في قصة موسى وفرعون في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ**﴾ [القصص: 5].

هـ- التكرار:

في الغالب لا تُذْكَر القصة القرآنية مرة واحدة، بل تُكرَّر وتُعاد، وكلما كُرِّرت جَمُلَتْ، وكلما أُعيدت حَلَتْ، وما أحلى مذاق الشهد وهو مُكرّر، كما يقول القائل. وقد قُرِن هذا التّكرار بتلوين في العبارة، وتجديد في الأسلوب، وتغيير في طريقة العرض، فتارةً تُعْرَض القصة طويلة، وتارة متوسطة، وتارة قصيرة وجيزة مختصرة، وتلك أيضًا خصيصة أخرى من خصائص القرآن الكريم.

و- الشمولية:

والقصص القرآني شامل في جمعه للزمن الماضي والحاضر والمستقبل. وشامل في جمعه بين أساليب متنوعة تناسب كل طبقة. وشامل في خطابه وتأثيره على النفوس الصغير والكبير، والعالم والجاهل، والعربي والعجمي. وشامل في تضمنه موضوعات من عقيدة وعبادة وأخلاق وغيرها.

ي- سموّ الهدف:

الغاية من القصص القرآني سامية جليلة، توحيد لله ودعوة للصلاح في الدنيا للفوز بالآخرة، وليست الغاية مجرد سرد تاريخي للإثارة والتسلية وإظهار البراعة اللغوية والأدبية والتفنن في نسج الخيال.

م-الإعجاز القصصي:

القصة جزء من القرآن، وبالتالي فهي تتضمن كل إعجازات القرآن الفنية البلاغية، والعلمية، ومنها الماضية المنسية لأمم بائدة لا يعلمها إلا الله. قال تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: 29]. ومنها قصص مستقبلية غيبية. قال تعالى لأم موسى: ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: 7].

المحاضرة السادسة

سياقات النص القرآني:
1/ السياق السببي (أسباب النزول) 2/ السياق المكاني (المكي والمدني)

أ/ السياق السببي (أسباب النزول):

القرآن الكريم قسمان: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق. وهو كثير ظاهر لا يحتاج إلى بحث ولا بيان. وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة. وقد انتدب جماعة لهذا العلم أفردوا له التآليف منهم علي بن المديني شيخ البخاري، ومنهم الواحدي، والجعبري، وابن حجر، ومنهم السيوطي الذي وضع فيه كتابا حافلا محررا سماه لباب النقول في أسباب النزول.

معنى سبب النزول

سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[38].

وهو ما نزلت الآية أو الآيات مبينة لحكْمه أو حِكَمه أيام وقوعه. فهو الحادثة التي وقعت في عهد الرسول [3]، ونزل قرآن بشأنها، أو استفسارات وأسئلة وُجّهت للنبي [3] فجاءت الآيات القرآنية تجيب عنها. ولا يعني هذا أنه لابد لكل آية من سبب. فالقرآن منه ما نزل ابتداءً وهذا أكثره، ومنه ما نزل عقب حادثة، أو جوابًا عن سؤال، فليس لكل آية سبب.

فوائد معرفة أسباب النزول:

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول وأنها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ وقد أخطأ فيما زعم فإن لأسباب النزول فوائد متعددة لا فائدة واحدة:

1 -الاستعانة على فهم المعنى المراد: لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب، قال الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها». وقال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن». وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

2 -معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها تشريع الحكم: مما يكون أدعى لتفهمه وتقبله، فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة بعد الأخرى، أدرك ضرورة تحريم الخمر، وبعثه موقف الصحابة عند نزول تحريمها الباتّ لأن يقتدي بهم ويأتسي بعملهم فينزجر عما قد يكون عليه من فعل محرّم.

3 -إزالة الإشكال عن ظاهر النص لمن لم يتعرف سبب النزول: وذلك كثير يصادفه المفسر.

4 - كشف أسرار البلاغة في القرآن العظيم: لما يفيده علم أسباب النزول من تلاؤم أسلوب القرآن مع مقتضى حال السامعين والعالمين إلى يوم الدين. وقد حفلت مصادر التفسير البلاغي بهذا اللون[39]

أمثلة على أسباب النزول:

ولنبين لك ذلك بأمثلة ثلاثة: **المثال الأول:** قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: 115]. فهذا اللفظ الكريم يدل بظاهره على أن للإنسان أن يصلي إلى أيَّةِ جهة شاء ولا يجب عليه أن يولي وجهه شطر البيت الحرام لا في سفر ولا حضر. لكن إذا علم أن هذه الآية نازلة في نافلة السفر خاصة أو فيمن صلى باجتهاده ثم بان له خطؤه تبين له أن الظاهر غير مراد إنما المراد التخفيف على خصوص المسافر في صلاة النافلة أو على في القبلة إذا صلى وتبين له خطؤه. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت. وقيل: عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا. وقيل في الآية غير ذلك ولكن ما ذكرناه يكفيك.

المثال الثاني: روي في الصحيح أن مروان بن الحكم أشكل عليه معنى قوله تعالى: «**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» من [آل عمران: 188]. وقال: لئن كان كل أمرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. وبقي في إشكاله هذا حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه أي طلبوا منه أن يحمدهم على ما فعلوا. وهنالك زال الإشكال عنه وفهم مراد الله من كلامه هذا ووعيده.

المثال الثالث: أشكل على عروة بن الزبير رضي الله عنه أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة مع قوله سبحانه: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا». وإشكاله نشأ من أن الآية الكريمة نفت الجناح ونفي الجناح لا يتفق والفرضية في رأيه وبقي في إشكاله هذا حتى سأل خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأفهمته أن نفي الجناح هنا ليس نفيا للفرضية إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين يومئذ من أن السعي بين الصفا والمروة من عمل الجاهلية نظرا إلى أن الصفا كان عليه صنم يقال له: إساف وكان على المروة صنم يقال له: نائلة. وكان المشركون إذا سعوا بينهما تمسحوا بهما. فلما ظهر الإسلام وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت الآية[40]

كيف يعرف سبب النزول؟

لما كان سبب النزول أمرا واقعا نزلت الآية بشأنه كان من البديهي ألا يدخل العلم بهذه الأسباب في دائرة الرأي والاجتهاد لهذا قال الإمام الواحدي في ديباجة كتابه أسباب النزول: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطّلاب"[41]

إن هناك ألفاظا تدلّ على سبب النزول وعبارات مستعملة في هذا، فبعضها مما فيه نص لا يقبل التأويل والاحتمال، وبعضها غير صريح في السببيَّة، بل يحتملها ويحتمل تفسير المعنى وما تضمنته الآية من أحكام. فمن الأول قولهم سبب نزول الآية: كذا، مصرحًا بلفظ سبب النزول، وقولهم: حدث كذا وكذا فنزلت الآية، أو سئل رسول الله ³ عن كذا فأنزل الله كذا، بلفظ الفاء الدالة على الترتيب، فتلك عبارات نص في بيان السبب. ومن الثاني، قولهم: نزلت في كذا، فإن العبارة تحتمل السبب، وتحتمل تفسير المعنى. والله أعلم.

وقد اتفق علماء الحديث على اعتبار قول الصحابي في سبب النزول له حكم المرفوع، وأخرج المحدثون أسباب النزول في كتبهم كالبخاري ومسلم وغيرهما. أما ما يرويه التابعون من أسباب النزول فهو مرفوع أيضا، لكنه مرسل، لعدم ذكر الصحابي فيه. لكن ينبغي الحذر والتيقظ، فلا نخلط بأسباب النزول ما ليس منها، فقد يقع على لسانهم قولهم: «نزلت هذه الآية في كذا»، أو «في الرجل يفعل كذا». ويكون المراد بيان موضوع الآية، أو ما دلت عليه من الحكم. كقوله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾. أخرج البخاري عن حذيفة في هذه الآية قال: «نزلت في النفقة"[42].

قال الإمام الزركشي: "وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها ... فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع"[43]

هل يتعدد سبب النزول:

لما كان سبيل الوصول إلى أسباب النزول هو الرواية والنقل، كان لا بد أن يعرض لها ما يعرض للرواية مما هو معلوم ومدروس في علوم الحديث، من صحة وضعف، واتصال وانقطاع، وغير ذلك مما لا نطيل به، غير أنا ننبه هنا على ظاهرة هامة يحتاج الدارس إليها وهي اختلاف روايات أسباب النزول وتعددها، وذلك لأسباب يمكن تلخيص مهماتها فيما يلي:

1 - ضعف الرواة: وضعف الراوي يسبب له الغلط في الرواية، وأن تكون مردودة، فإذا خالفت روايته رواية المقبولين، كانت أولى بالرد. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ». فقد ثبت أنها في صلاة التطوع للراكب المسافر على الدابة: أخرج مسلم عن ابن عمر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه

نزلت: فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ. وأخرج الترمذي وضعفه أنها في صلاة من خفيت عليه القبلة فاجتهد فأخطأ القبلة، فإن صلاته صحيحة. فالمعول هنا في سبب النزول على الأول لصحته.

2 - تعدد الأسباب والمنزّل واحد: وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة فتنزل الآية لأجلها كلها، وذلك واقع في مواضع متعددة من القرآن، والعمدة في ذلك على صحة الروايات، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلا على أن الكل سبب لنزول الآية والآيات. مثال ذلك: آيات اللعان: فقد أخرج البخاري أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ.

وفي الصحيحين أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلا. فقال صلى الله عليه وسلم: ((قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك». وظاهر الحديثين الاختلاف، وكلاهما صحيح. فأجاب الإمام النووي بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا، وبذلك قال الإمام الخطيب، قال: «لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد».

3 -أن يتعدد نزول النص لتعدد الأسباب: قال الإمام الزركشي: «وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه"[44]. ولذلك أمثلة، منها: ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة، ومعلوم أن هذه الآية في سورة «الإسراء»، وهي مكّية بالاتفاق، فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين وعن أهل الكهف قبل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك، فأنزل الله الجواب، كما سبق بيانه.

ولا يقال: كيف يتعدد النزول بالآية الواحدة، وهو تحصيل حاصل؟ فالجواب: أن لذلك فائدة جليلة، «والحكمة من هذا- كما قال الزركشي: إنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدّى تلك الآية بعينها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، تذكيرا لهم بها، وبأنها تتضمّن هذه»[45]

هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

هذه قضية أصولية من قواعد أصول الفقه، كما أنها من أصول التفسير الهامة، تضبط كيفية تفسير السبب للنص ضبطا يزيل التوهم الفاسد. فالسبب الخاص قد ينزل فيه نص خاص بموضوع السبب، وقد ينزل نص عام الصيغة.

1 - أما إن كان النص النازل خاصا بالسبب، ولا عموم للفظه فإن الآية حينئذ تقتصر عليه قطعا. مثال ذلك قوله تعالى في سورة الليل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكَّى﴾. هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع، ومن هنا استدل بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾ على أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما من ظنّ أنها عامة في كل من عمل عمله فهذا غلط منه، لأن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم حتى نطبق عليها قاعدة: «العبرة لعموم اللفظ»، بل إن «ال» في الأتقى للعهد، يؤكد ذلك أن «ال»، الموصولة التي تفيد العموم لا توصل بأفعل التفضيل إجماعا، والأتقى ليست جمعا، بل هو مفرد، والعهد موجود، خصوصا مع ما يفيده أفعل التفضيل من التمييز وقطع المشاركة، فبطل القول بالعموم وتعين القطع بالخصوص، والقصر على من نزلت فيه رضي الله تعالى عنه.

2 -وإما أن يكون السبب خاصا ولفظ الآية عاما: فالمعتمد الذي عليه جمهور الفقهاء والأصوليين والمفسرين وغيرهم «أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب». ومن الأدلة على ذلك احتجاج الصحابة والتابعين فمن بعدهم في وقائع كثيرة بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، وكان ذلك الاستدلال شائعا ذائعا بينهم، لا ينكره أحد. لذلك قال محمد بن كعب القرظي: «إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد».

وسأل نجدة الحنفي ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما﴾ ... أخاصّ أم عام؟ قال: بل عام. ويدل لذلك أيضا أنه كما قال الإمام الزركشي: «قد جاءت آيات في مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظّهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية، ونزول حدّ القذف في رماة عائشة رضي الله عنها، ثم تعدّى إلى غيرهم». وهذه القاعدة من البدهيات، لا يمكن للعالم أن يخصص ألفاظ القرآن العامة «بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق» كما قال ابن تيمية. وعلى ذلك درجت القوانين في الدنيا كلها، فإن القانون يصدر لأسباب خاصة في أحيان كثيرة ثم يكون حكمه عاما على الجميع[46].

ب/ السياق المكاني (المكي والمدني):

ينقسم القرآن في مجموعه على مكي ومدني، وقد عني العلماء بتمييز هذين القسمين عن بعضهما، واستخراج خصائص كل منهما، لما يترتب على ذلك من الفوائد التشريعية والتاريخية التي سنكشفها لاحقا. بل ذهبوا على تفاصيل أوسع مثل: "ما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية وما نزل ليلا وما نزل نهارا وما نزل مشيعا وما نزل مفردا والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة وما نزل مجملا وما نزل مفسرا وما اختلفوا فيه فقال بعضهم: مكي وبعضهم مدني"[47]

تعريف المكي والمدني

للعلماء في تعريفهما اصطلاحات ثلاثة:

<u>الاصطلاح الأول:</u> ما عليه جمهور العلماء وهو: المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان نزوله بغير مكة، ويدخل فيه ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في سفر الهجرة.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بغير المدينة، ويدخل فيه ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد الهجرة كسورة الفتح فقد نزلت على النبي منصرفه من الحديبية.

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه الزمان، وعليه فقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها الآية مدني وإن كانت نزلت بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم في جوف الكعبة عام الفتح، وقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً مدني وإن كانت نزلت بعرفة في حجة الوداع وهذا التقسيم حاصر وضابط ومطرد؛ إذ تنعدم على القول به الواسطة ولا يرد عليه ما ينقضه فلذا كان الراجح المقبول.

<u>الاصطلاح الثاني:</u> المكي: ما نزل بمكة ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل عليه بمنى وعرفات والحديبية.

والمدني: ما نزل بالمدينة ويدخل في المدينة ضواحيها كالمنزل عليه ببدر وأحد وهذا الاصطلاح لوحظ فيه المكان؛ ويرد على هذا التعريف أنه غير حاصر لأنه يثبت الواسطة فما نزل عليه بالأسفار لا يسمى مكيّا ولا مدنيّا وذلك مثل ما نزل بتبوك، وهو قوله تعالى: لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ [التوبة: 43] الآية، ومثل آية التيمم التي في سورة النساء فإنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره (1)، وهو منصرفه صلى الله عليه وسلم والجيش من غزوة بني المصطلق.

<u>الاصطلاح الثالث:</u> المكي: ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني: ما وقع خطابا لأهل المدينة، ويحمل على هذا ما نقل عن ابن مسعود أنه قال: ما كان في القرآن- يا أيها الذين آمنوا- أنزل بالمدينة، وما كان يا أيها الناس فبمكة. وما نقل عن ميمون بن مهران التابعي الجليل أنه قال: ما كان في القرآن ((يا أيها الناس أو يا بني آدم)) فإنه مكي، وما كان ((يا أيها الذين آمنوا)) فإنه مدني، وهذا الاصطلاح لوحظ فيه المخاطب، ويرد على هذا الرأي أن التقسيم عليه غير حاصر فهنالك آيات كثيرة جدّا في القرآن الكريم ليس فيها ((يا أيها الناس ولا يا أيها الذين آمنوا)) كما يرد عليه أنه غير مطرد؛ إذ هو منقوض بسورة «البقرة» المدنية وفيها يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ وبسورة «النساء» المدنية ومفتتحها يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وبسورة «الحج» فإنها

مكية عند جماعة من العلماء وفي أواخرها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [سورة الحج: 77].

قال الإمام الرازي في تفسيره تعقيبا على هذا الاصطلاح الأخير: قال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلّم وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف إذ يجوز أن يخاطب المؤمنين بصفتهم. وباسم جنسهم، ويؤمر من ليس بمؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمن بالاستمرار عليها والازدياد منها فالخطاب في الجميع ممكن فإن قال قائل: إن مراد هؤلاء بمقالتهم هذه أن الغالب والكثير كذلك، قلنا: إن ذلك لا يفيد في التقاسيم والتعاريف إذ مبناها على الضبط والانحصار والاضطراد.

<u>أنواع السور المكية والمدنية:</u>

القرآن الكريم على أربعة أنواع:

1 - مكي خالص.

2 - مدني خالص.

3 - مكي بعضه مدني.

4 - مدني بعضه مكي.

<u>1/ أما المكي الخالص</u> فمثل: سورة اقرأ، والمدثر، والقيامة.

<u>2/ وأما المدني الخالص:</u> البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة،

<u>3/ وأما المكي الذي بعضه مدني</u> فمثل سورة الأنعام، فإنها مكية إلا قوله تعالى: وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ الآية، فقد صح أنها نزلت في مالك بن الصيف من اليهود (1)، وسورة الأعراف، فإنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [سورة الأعراف: 163] الآية إلى خمس آيات أو ثمان بعدها فإنها مدنية، فإن الضمير في وَسْئَلْهُمْ لليهود، ولم يكن بمكة يهود، ومثل سورة الإسراء فإنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [سورة الإسراء: 85] الآية فإنها مدنية كما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود وقد تقدم في أسباب النزول. ومثل سورة هود فإنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ [سورة هود: 114] الآية فقد صح أنها نزلت بالمدينة في قصة أبي اليسر[48].

<u>4/ وأما المدني الذي بعضه مكي</u> فمثل: سورة الأنفال، فإنها مدنية إلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا [سورة الأنفال: 30] الآية فقد روي عن مقاتل أنها مكية واستثني أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إلى غاية آية [36] فمكيات. وقد روي عن ابن عباس أن آية وَإِذْ يَمْكُرُ نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة تذكيرا له بنعمة الله عليه فهي مدنية على هذا.

ومثل سورة «براءة» فهي مدنية إلا قوله: ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى [سورة براءة: 113] الآية فالصحيح أنها نزلت في قول النبي لعمه أبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»

الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني

لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي.

أما السماعي: فالنقل الصحيح عن الصحابة أو التابعين بأن سورة كذا أو آية كذا نزلت بمكة أو بالمدينة أو قبل الهجرة أو بعدها.

وأما القياسي: فضوابط كلية لمعرفة كل منها وهذه الضوابط مبناها على التتبع والاستقراء المبني على الغالب والكثير.

ضوابط المكي

1 - كل سورة فيها «كلا» مكية، وقد وردت في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشر سورة كلها في النصف الأخير قال الدريني رحمه الله:

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

قال العماني: وحكمة ذلك أن النصف الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثر أهلها جبابرة فتكررت كلا على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم.

2 -كل سورة في أولها حروف المعجم فهي مكية سوى «البقرة» و «آل عمران» فإنهما مدنيتان باتفاق، وفي «الرعد» خلاف.

3 -كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

4 -كل سورة فيها سجدة مكية سوى الحج، عند من يقول إنها مدنية.

5 -كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية مكية سوى «البقرة» و «آل عمران».

ضوابط المدني

1 -كل سورة فيها ذكر الحدود والفرائض مدنية.

2 -كل سورة فيها ذكر المنافقين وأحوالهم مدنية سوى سورة العنكبوت فإنها مكية إلا إحدى عشرة آية من صدرها فإنها مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون.

3 -كل سورة فيها الإذن بالجهاد أو الأمر به وأحكامه والصلح والمعاهدات فهي مدنية، سوى سورة «الحج» عند من يرى أنها مكية[49].

مميزات المكي والمدني

قد امتاز كل من المكي والمدني غير ما تقدم من الضوابط بأمور كثرت فيه وسمات بارزة تميزه عن غيره وهذه المميزات ترجع إلى المعنى والموضوع والخصائص البلاغية فهي أدل وأدق وأشمل من الضوابط لأن غالبها يرجع إلى اللفظ والشكل.

<u>مميزات المكي</u>

1 -الدعوة إلى أصول الإيمان الاعتقادية من الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والجزاء والإيمان بالرسل والملائكة وإقامة الأدلة العقلية والكونية والأنفسية على ذلك، وهذه الثلاثة وأدلتها هي التي يدور عليها غالبا الحديث في السور المكية؛ وذلك لأن القوم كانوا منغمسين في حمأة الشرك والوثنية، وكانوا لا

يقرون بالنبوات ولا بالبعث وما بعده، ويقولون: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، فكان اللائق بحالهم دعوتهم أولا إلى الإيمان بهذه الأصول فإذا ما آمنوا بها خوطبوا بالفروع والتشريعات التفصيلية.

2 - محاجة المشركين ومجادلتهم وإقامة الحجة عليهم في بطلان عبادتهم الأصنام وبيان أنها بمعزل عن الألوهية واستحقاق العبادة وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تخلق، ولا تحس، ولا تعي أي شيء، ودعوتهم إلى استعمال عقولهم ونبذ التقليد بغير حجة وعلم قال تعالى: ﴿بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ [الزخرف: 22 - 24] وقال سبحانه: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21]، وإقامة الأدلة على أن القرآن حق لا شك فيه، وأنه من عند الله، وقد وقع التحدي بالقرآن في ثلاث سور مكية ولم يقع التحدي به في القسم المدني إلا في سورة البقرة.

3 - الدعوة إلى أصول التشريعات العامة والآداب والفضائل الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا سيما ما يتعلق منها بحفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب وهي الكليات الخمس التي تتفق فيها جميع الشرائع السماوية وذلك كالحث على الثبات على العقيدة والاستهانة بكل شيء في سبيلها والأمر بالصلاة والصدقة، والصدق، والعفاف وبر الوالدين، وصلة الرحم، والعفو، والعدل، والإحسان والتواصي بالحق، والخير، والصبر، والنهي عن القتل، ووأد البنات، والظلم، والزنا وأكل أموال الناس بالباطل وذلك مثل قوله تعالى في أواخر سورة الأنعام: ((قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآيتين، وفي سورة الأعراف: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾ وفي سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ﴾ الآية، وقوله تعالى في سورة «ن» ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ الآيات –

4- ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ ليكون في قصصهم عبرة وموعظة لأولي الألباب، لبيان أن دعوة الرسل جميعا واحدة وأنهم جاءوا بالتوحيد الخالص والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن الأنبياء وأتباعهم لاقوا كل أنواع الإيذاء في سبيل عقيدتهم ومع ذلك صبروا وثبتوا على عقائدهم وكان النصر والعاقبة لهم، والهزيمة والخذلان لأعدائهم إلى غير ذلك ولقد كان ذكر القصص في القسم المكي من أعظم الأدلة على أن القرآن من عند الله؛ إذ لو تأخر نزوله إلى المدينة لقالوا: تعلمه من أهل الكتاب قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

5 - قصر أكثر آياته وسوره؛ وذلك لنزوله بمكة، وأكثر أهلها يومئذ يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة، وتملكهم لناصية القول، والخطابة، والشعر وبلوغهم الغاية في لطف الحس، وذكاء العقل، والألمعية وسرعة الخاطر فكان المناسب لهم النذر القارعة، والعبارات الموجزة، والفقر القصيرة ذات اللفظ الجزل، والجرس القوي، والمعنى الفحل فتصخّ الآذان وتستولي على المشاعر وتعقل ألسنتهم عن المعارضة وتدعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها أن يلقي عصا العجز ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز كما قال الوليد بن المغيرة القرشي لما سمع القرآن: والله لقد سمعت كلاما ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته..

ولما أحزنت المشركين مقالته وأكرهوه على أن يقول في القرآن قولا ينقض قولته الأولى لم يسعه بعد الصراع النفسي العنيف وتكلف الخروج عن فطرته العربية وملكته الأدبية إلا أن يقول: ﴿**إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾. **ولكي تتأكد أن الرجل لم يقل ذلك إلا مكرها أقرأ عليك قول الله: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**﴾ [المدثر: 18 - 25]. فانظر كيف صور القرآن حالته النفسية هذا التصوير المعجز الذي يصور لك الوليد وقد بدت على وجهه آثار الصراع النفسي العميق العنيف ما بين فطرته اللغوية التي تأبى عليه أن يقول في القرآن غير ما قال، وما بين رغبته في إرضاء قومه التي تلح عليه أن يقول في القرآن ما يرضيهم ويبقي على مودتهم له، فلم يستطع إلا أن يقول: ﴿**إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾ وآثر أن يناقض نفسه على أن يغضب قومه!!

ولقد كان البليغ منهم- على كفره- يسمع القرآن فيخيل إليه أن العذاب كأنه واقع بهم فلا يجد مندوحة عن أن يناشد النبي صلى الله عليه وسلم الله والرحم أن يكف عن قراءاته، وكان القرشيون يتواصون فيما بينهم أن لا يستمعوا إليه وأن يضعوا أصابعهم في آذانهم، ويستغشوا ثيابهم، حذرا أن ينفذ إلى قلوبهم فإذا هم بعد قليل تغلب عليهم فطرتهم اللغوية فيتناسون الوصية ويلقون إليه بآذانهم وقلوبهم لما يجدون في استماعه من لذة وإرضاء لملكاتهم الأدبية[50].

مميزات القسم المدني

1 - التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات كأحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والقصاص، والنكاح، والطلاق، والبيوع والمداينات، والربا، والحدود كحد الزنا، والسرقة، والكفارات؛ ككفارة القتل الخطأ والظهار، والأيمان، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه السور المدنية كما في سورة البقرة والنساء والمائدة والنور؛ وذلك لأن حياة المسلمين في المدينة بدأت في الاستقرار وأصبح لهم كيان ودولة وسلطان، ومن شأن الجماعة التي لها رابطة تربطها أن تكون في مسيس الحاجة إلى تشريع يتكفل بما تحتاج إليه في دينها ودنياها، وأيضا فالتشريعات العملية مرتبطة بسلطان الحكم التنفيذي فلا تشريع لمن لا يملك حكم التنفيذ فمن ثم جاءت التشريعات المدنية على ما ذكرنا.

2 - محاجة أهل الكتاب وبيان ضلالهم في عقائدهم التي ضاهوا بها أسلافهم من زائغي الأمم السابقة كقولهم بالتثليث أو الحلول أو الأبنية أو الصلب، والإلقاء عليهم باللائمة؛ لتحريفهم كتبهم ولا سيما البشارة بالنبي الأمي المبعوث في آخر الزمان، وتغيير بعض الأحكام التي لا تلائم أهواءهم واتخاذهم هذا التغيير وسيلة لابتزاز أموال الناس بالباطل؛ فاليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى غلوا في عيسى فقال بعضهم: إنه الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال آخرون: ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا.

وغيّر اليهود الرجم إلى الجلد أو تسخيم الوجه والتشهير طمعا في المال أو الزلفى إلى الأشراف وقد جادلهم القرآن بالحسنى والحجة الدامغة والمنطق السليم، وذلك كما ترى في سورة المائدة، وآل عمران، والبقرة، والنساء، والتوبة.

3 - بيان ضلال المنافقين وإظهار فضائحهم والكشف عن خبيئة نفوسهم وإظهار ما بهم من سوء الطباع والجبن والهلع وأنهم لا يبتغون إلا عرض الحياة الدنيا ولا يهمهم أمر الإسلام ونصره كما في سورة البقرة والتوبة التي ما زالت تقول: ومنهم، ومنهم حتى فضحتهم، وقد أنزل الله سورة من المفصل في شأنهم وهي «المنافقون».

4 - قواعد التشريع الخاصة بالجهاد، وحكمة تشريعه، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب، والغزوات؛ من الصلح، والمعاهدات، والغنائم، والفيء وفك الأسارى، وذلك كما في سورة البقرة، والأنفال وبراءة والقتال والفتح والحشر[51]

فوائد معرفة المكي والمدني من القرآن:

1 - أنه يعرف به الناسخ والمنسوخ فيما لو وردت آيتان متعارضتان وإحداهما مكية والأخرى مدنية فإننا نحكم بنسخ الثانية للأولى لتأخرها عنها.

2 - أنه يعين على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سنة الله الحكيمة في تشريعه؛ وهي التدرج في التشريعات بتقديم الأصول على الفروع والإجمال على التفصيل وقد أثمرت هذه السياسة التشريعية ثمرتها وعادت على الدعوة الإسلامية بالقبول والإذعان والانتشار، وقد ضربت أمثلة لهذا التدرج في التشريع في حكم نزول القرآن مفرقا

المحاضرة السابعة

سياقات النص القرآني:
3/أ- السياق التراتبي (أول وآخر ما نزل من القرآن) 3/ب- (الناسخ والمنسوخ)

3-أ (أول ما نزل من القرآن)

اختلف في أول ما نزل من القرآن المجيد على أقوال أربعة. **القول الأول:** وأصحها جميعا قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: الآية1-5] وقد روى الشيخان وغيرهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم (..) حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حتى بلغ ما لَمْ يَعْلَمْ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره) الحديث.

القول الثاني: في أول ما نزل من كتاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: 1] روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله (أيّ القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ، قلت: أو ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق: 1] ، قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو: (يعني جبريل) فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: 1-2]**

القول الثالث: في أول ما نزل من كتاب الله تعالى: سورة الفاتحة: جاء في الكشاف: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت اقرأ، وأكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب.

القول الرابع: في أول ما نزل: بسم الله الرحمن الرحيم: حكاه ابن النقيب في مقدمته وأخرج الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، وأول سورة اقرأ باسم ربك.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد استعذ ثم قل: بسم الله الرحمن الرحيم. أخرجه ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه. وفي أوائل ما نزل جاء عن الواحدي من طريق الحسين بن واقد قال: سمعت عليّ ابن الحسين يقول:

أول سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك: وآخر سورة نزلت بها المؤمنون. ويقال سورة العنكبوت. وأول سورة نزلت بالمدينة ويل للمطففين، وآخر سورة نزلت بها براءة.

والخلاصة:

من كل هذا الاختلاف، أن أول ما نزل من القرآن الكريم: اقرأ. أول سورة العلق. ولا مانع من أن تكون البسملة افتتاحا لها كما هي افتتاح لسور القرآن الكريم عدا سورة براءة. أما سورة المدثر أو سورة القلم فتكون قد نزلت بعد فترة الوحي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم[52].

ملاحظة:

أولية النزول القرآني وآخريته قسمان: الأول على وجه الإطلاق والثاني بالنسبة لموضوع معين، مثل أول ما نزل من القرآن في القتال والخمر والأطعمة، وآخر ما نزل منه، وتسمى الأوائل والأواخر المقيدة. وأول آية نزلت في القتال قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: 39-40]. وأول ما نزل في الخمر قوله تعالى: ﴿**يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ**﴾ [البقرة: 219]. وأول ما نزل في الأطعمة قوله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [الأنعام: 145].

-ب (آخر ما نزل من القرآن)

كما اختلف الرواة في أول ما نزل اختلفوا كذلك في آخر ما نزل، ولكن الأصح والأرجح هو قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ**﴾ [البقرة: 281]. وعاش النبي بعد نزولها تسع ليال ثم مات. وقيل إن آخر ما انزل: آية الدين قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ**﴾ [البقرة: 282] إلى قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ**﴾. [البقرة: 282]. وهي أطول آية في القرآن. والرأي الثالث قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾ [البقرة: 278]. والظاهر أن هذه الآيات الثلاث كلها نزلت جملة واحدة، وكل أخبر بما علم أو سمع. وقيل آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ**﴾ [المائدة: 3]، وهو قول غير صحيح لأن هذه الآية نزلت في حجة الوداع، وهو واقف بعرفة، وقد عاش بعدها –صلى الله عليه وسلم- 81 يوما.

فائدة العلم بأول ما نزل من القرآن وآخره:

1-تمييز الناسخ من المنسوخ عند التعارض، وذلك فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضوع ولحد، وكان الحكم في إحداها يغاير الحكم في الأخرى.

2-ومعرفة التدرج في التشريع وتاريخه، مثل الآيات التي وردت في حكم الخمر.
3-معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، كالعلم بأن الآيات الدالة على شهر رمضان نزلت سنة ومكان كذا.
4- إظهار مدى عناية سلفنا الصالح بالقرآن، ومعرفة أول وآخر ما نزل منه.

3/ب- الناسخ والمنسوخ

التعريف اللغوي:

يأتي النسخ في كلام العرب على ثلاثة أوجه: 1-بمعنى الإزالة والمحو: كقولهم نسخت الريحُ آثار القوم أي أزالتها، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ**﴾[الحج: 52]. بمعنى التحول من شيء إلى شيء، وانتقال ما فيه إلى الشيء الثاني .وهذا مأخوذ من قولهم: نسختُ الكتاب إذا نقلت ما فيه إلى كتاب آخر. 3 -بمعنى البدل، وهذا مأخوذ من قول العرب. نسخت الشمس الظلَّ: إذا أزالته وحلَّت محلَّه[53].

التعريف الاصطلاحي:

أما في الاصطلاح: فهو بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب شرعي متأخر عنه. فالحكم الأول يسمّى منسوخاً. والخطاب الذي جاء متأخرًا وقصد به انتهاء العمل بالحكم الأول يسمى ناسخًا.

دليل مشروعية النسخ .

جاءت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة تدلُّ على وقوع النسخ وجوازه. فدليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: 106]؛ وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ**﴾ [البقرة: 101]. ومن السنة قوله: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها. أما الصحابة فقد أجمعوا على أن شريعة محمد ص ناسخة لجميع ما سبقها من شرائع.

ومع وجود هذه الأدلة على جواز النسخ، فهناك طائفة من المسلمين تنكر النسخ، كما أنكره النصارى واليهود، وما ذاك إلا افتراء وعناد منهم، فليس هناك ما يمنع وقوع النسخ في أحكام الله، فإنه يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد. وقد وقع النسخ في الشرائع المتقدمة، فقد أحلَّ الله لآدم أن تتزوج بناته من بنيه ثم حرَّم ذلك، كما أبيح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات، ثم نسخ ذلك فأحلَّ بعضها.

طريقة معرفة الناسخ والمنسوخ .

إن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم، لهذا لا يحل لمسلم أن يقول فيه إلا بيقين. فلا يعتمد فيه على قول مفسِّر أو اجتهاد مجتهد من غير نقل صحيح، لهذا لا يقبل نسخ آية أو حديث بغير أحد وجوه ثلاثة وهي: 1- **النص الصريح** بأن هذا الأمر ناسخ لكذا، كقوله تعالى: ﴿**قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ**﴾ **[البقرة: 144].**

وقوله تعالى: ﴿**عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ**﴾ . فهذه الآية صريحة في نسخ النهي عن الوطء في ليل رمضان. وحديث الرسول (ص) "**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**" -2 .**إجماع الأمة** بلا خلاف يعتدُّ به على أن أمر كذا منسوخ، ومعلوم أن الإجماع يستند إلى دليل. 3- **تعارض الأدلة المتساوية تعارضًا تامًا**، مع معرفة الأمر المتقدم زمنًا من المتأخر، بمعنى أن النَّصين إما أن يتعارضا من جميع الوجوه، أو من وجه دون وجه، فإن تعارضا من وجه دون وجه جمع بينهما، وإن تعارضا من جميع الوجوه، فإن كان أحدهما قطعيًا والآخر ظنيًا، أو كان أحدهما أقوى من الآخر في الثبوت عُمل بالأقوى، وأهمل الآخر.

وإن تعارضا من جميع الوجوه، وتكافآ في الثبوت، وعلم الأمر المتقدم منهما والمتأخر صرنا إلى النسخ. أما إن تعارضا من جميع الوجوه، وتكافآ في الثبوت، ولم يعلم المتقدم والمتأخر، فلا يصار إلى النسخ بالاجتهاد، بل يجب التوقف عنهما، أو التخيير بينهما. وعلى هذا فلا يعتمد في النسخ على: الاجتهاد من غير دليل، ولا على أقوال المفسرين من غير سند، ولا على مجرد التعارض الظاهري بين النصوص، ولا على ثبوت أحد النَّصين في المصحف بعد الآخر، لأنه ليس على ترتيب النزول.

أنواع النسخ:

قسَّم علماء التفسير النسخ إلى ثلاثة أنواع:

1/ ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته.

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ**﴾ [البقرة: 240]. فكانت المرأة إذا مات زوجها لزمت التَّربص بعد انقضاء العدة حولاً كاملاً، ونفقتها في مال زوجها ولا ميراث لها. فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ**﴾ [البقرة: 234]. وهذا النوع هو الذي اتفق معظم العلماء على وقوعه وألفّت فيه الكتب.

2/ ما نسخت تلاوته وبقي حكمه.

ومثَّل العلماء لهذا بما روي أنه كان في سورة الأحزاب: ﴿**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله**﴾ فنسخت تلاوتها وبقي حكمها، إذ قال عمر رضي الله عنه: قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ورجمنا بعده.

3/ ما نسخت تلاوته وحكمه.

ومثل العلماء لهذا بما روي عن عائشة رضي الله عنها: ,كان فيما أنزل الله عشر رضعات معلومات يُحرِّمن، فنُسِخْن بخمس معلومات فتوفي رسول الله وهُنّ فيما يُقرأ من القرآن· رواه مسلم. وقد أنكر بعض العلماء هذا النوع، وحجتهم في ذلك أن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها.

الجائز من النسخ: يتم النسخ على أربعة أوجه،

1/ نسخ القرآن والسنة بالقرآن والسنة:

نسخ القرآن بالقرآن. وهذا أمر جائز لدى الجميع دون خلاف بين القائلين بالنسخ .وما تقدم من أمثلة يغنينا عن الإعادة.

2/ نسخ السنة بالسنة. وأجمع العلماء على جوازه، غير أن بعضًا منهم منع نسخ السنة المتواترة بالسنة الأحادية.

3/ نسخ القرآن بالسنة. وهذا قد أجازه جمهور العلماء، واستدلوا بأن الكتاب والسنة كليهما وحيٌ من الله، غير أن الإمام الشافعي ذهب إلى منعه وعدم وقوعه، ولعلّ منعه راجع لعدم وقوعه.

4/ نسخ السنة بالقرآن. وهذا أمر جائز لدى العلماء، غير أن بعضهم فهم من كلام الشافعي منعه.

حكمة النسخ:

1- مراعاة مصالح العباد.

2- تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.

3- ابتلاء المكلَّف واختباره بالامتثال وعدمه[54].

المحاضرة الثامنة

سياقات النص القرآني:
4-السياق التداولي: (القراءات القرآنية، مفهومها، أنواعها، الحكمة منها)

مدخل:

في بداية نزول القرآن كان العرب متفرقين غير مجتمعين، ومع ذلك كانت اللغة العربية تجمعهم، مع اختلاف في بعض الكلمات والحروف، فأُمِر محمد صلى الله عليه وسلم أن يُقرئ أمته القرآن على حرف واحد، فلم يزل يستزيد ويقول إن أمتي لا تطيق ذلك، حتى وصل العدد سبعة، فكان ذلك رحمة وتيسيرا وتسهيلا على الأمة في بداية تلقيها القرآن الكريم، فأصبحت كل قبيلة تقرأ بالحرف الذي يوافق لهجتها أو هو أقرب إليها، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم، يقرئ الصحابة كل بالحرف الذي يرى أنه يناسب لهجته أو لهجة من يليه من العرب.

قيل: نزل هذا القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبعة أحرف، ومعناها: على سبع لغات، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن كل قبيلة من العرب القرآن على حسب ما يحتمل من لغتهم، تخفيفا من الله تعالى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فكانوا ربما إذا التقوا، يقول بعضهم لبعض: ليس هكذا القرآن، وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعيب بعضهم قراءة بعض فنهوا عن هذا: اقرءوا كما علمتم، ولا يجحد بعضكم قراءة بعض، واحذروا الجدال والمراء فيما قد تعلمتم[55].

وكانت رخصة الأحرف السبعة حلّا لمشكلة واجهت الصحابة في عصر النبوة حيث يسّرت عليهم قراءة القرآن، من غير أن يختل نظمه أو تتحرف كتابته[56].

مفهوم القراءات القرآنية:

القراءات في اللغة: جمع قراءَة، والقراءَة في اللغة تعني الجمع، فقراءة الشيء جمعُه وضمُّه، ومعنى قرأت القرآن لَفَظْتُ به مجموعًا، وسُمّي القرآن، لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض[57].

أما **القراءة في الاصطلاح** علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة حتى يُصان كلام الله عن تطرّق التحريف والتغيير. والقراءة مذهب من مذاهب النطق في القرآن، يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره، وهي ثابتة بالأسانيد إلى رسول الله (ص). ويرجع عهد القراء إلى عهد الصحابة، واشتهار الأئمة السبعة لا يعني انحسار القراءات في سبع. وأول من صنف في القراءات أبو عبيد بن سلام. جمعها واختارها أبو بكر أحمد بن مجاهد المتوفى سنة 324هـ، وهو أول من نوه بالقراءات السبع[58].

التعريف بابن مجاهد:

ابن مُجَاهِد (245 - 324 هـ = 859 - 936 م) أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد: كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطنا جوادا. له (كتاب القراءات الكبير) وكتاب (قراءة ابن كثير) و (قراءة أبي عمرو) و (قراءة عاصم) و (قراءة نافع) و (قراءة حمزة) و (قراءة الكسائي) و (قراءة ابن عامر) و (قراءة النبي صلى الله عليه وسلم و (كتاب الياءات)[59]

مصطلحات علم القراءات:

ولعلماء القراءات **مصطلحات** في هذا الشأن لابدّ من توضيحها، **كالقراءة والرواية والطريق**. فالقراءة للإمام كقراءة نافع وابن كثير وعاصم، والرواية للذي يأخذ عن الإمام كرواية ورش عن نافع، ورواية قنبل عن ابن كثير، ورواية حفص عن عاصم. والطريق للذي يأخذ عن الراوي. **والقراءة المتواترة**، والقراءة **الشاذة: لا يقرأ بها ولا يصلى بها أبدا.**

القُرَّاء السَّبعة ورواتهم

لما رأى الإمام أبوبكر بن مجاهد (ت 324هـ) تشعُّب القراءات وكثرة القراء دفعته الغيرة على كتاب الله إلى اختيار سبعة من أئمة القراءات خلفوا في القراءة التّابعين، وأجمعت على إمامتهم في القراءة عامة القراء. وقد اختارهم من خمسة أمصار إسلامية هي الأمصار التي حُمِلَت عنها القراءة في العالم الإسلامي، وهي: المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام. ولا يعني هذا الاختيار أن قراءة غيرهم لا تجوز، لكن هؤلاء عرفت قراءتهم واشتهرت. ولكل إمام من هؤلاء القراء راويان مشهوران حملا القراءات عنه وعرفا بذلك.

أما قارئ أهل المدينة فأبو عبد الرحمن **نافع** بن أبي نعيم المدني وراوياه عيسى بن مينا المعروف بقالون، وعثمان بن سعيد الملقب بورش.

وقارئ أهل مكة أبو سعيد عبد الله **بن كثير** المكي، ومن رواته أبو الحسن أحمد بن القاسم البزي وأبو عمر محمد المعروف بقنبل.

أما الكوفة ففيها ثلاثة قراء: أبوبكر **عاصم** بن أبي النَّجود وروى عنه أبوبكر شعبة بن عياش وحفص بن سليمان الكوفي، (والرواية التي عليها مصحف المدينة النبوية المتداول اليوم هي رواية حفص عن عاصم). وفي الكوفة أيضًا أبو عمارة **حمزة** بن حبيب الزيات، وراوياه خلف بن هشام البزار وأبو عيسى خلاد بن خالد الكوفي؛ وفيها أيضًا أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي وراوياه حفص بن عمر الدوري وأبو الحارث الليث بن خالد.

وقارئ أهل البصرة **أبو عمرو بن العلاء** البصري المازني، وراوياه أبو شعيب السوسي صالح بن زياد، وحفص الدوري (وهو أحد راويي الكسائي أيضًا). وآخرهم وأقدمهم مولدًا **عبد الله بن عامر اليحصبي**، قارئ أهل الشام، وراوياه هشام بن عمار، وعبد الله بن ذكوان.

الضابط العلمي لاعتماد القراءات:

إن القراءة لا تُقبل إلا إذا تحققت فيها الضوابط الثلاثة أو الأركان وهي:

1- صحة السند والتّواتُر. وصحة السند يعنون به، أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله حتى تنتهي القراءة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

2- موافقتها للغة العربية ولو بوجه بعيد. ويريدون بها أن توافق القراءة وجهًا من وجوه النحو، سواء أكان فصيحًا أم أفصح، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم. فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو كتسكين ﴿بارئْكم ويأمرْكم وينصرْكم﴾ في قراءة أبي عمرو البصري التي أنكرها سيبويه وغيره، ومع ذلك لم يعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة على قبولها

3- موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالاً. يعني أن توافق القراءة الرسم العثماني ولو احتمالا . إذ موافقة القراءة للرسم قد تكون تحقيقًا وهي الموافقة الصريحة. وقد تكون الموافقة تقديرًا، وهي الموافقة احتمالاً. فقد توافق بعض القراءات الرسم العثماني تحقيقًا، ويوافقه بعضها تقديرًا، نحو (مَلِكِ يوم الدين) فإن لفظ (ملِكِ) كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة (مِلِكِ) توافقه تحقيقًا، كما كُتب (ملك الناس) وتقرأ (مالك) بالألف ولكنها في المصحف (ملك) بحذف الألف فهي توافقه تقديرًا، كما كُتب (ملك يوم الدين).

ملاحظة:

أهم شرط هو التواتر، فالقراءة المتواترة لا تخالف الرسم العثماني ولا أوجه اللغة العربية الممكنة

الحكمة من القراءات القرآنية:

1- التخفيف على الأمة

2- الدلالة على صيانة الله لكتابه

3- إظهار فضل الأمة وقد أنزل عليها الكتاب بأكثر من وجه

4- المبالغة في الإعجاز

5- التوسعة في المعاني والتفسير

أسماء القراءات السبع المتواترة :

جمعها واختارها أبو بكر أحمد بن مجاهد المتوفى سنة 324 هـ، وهو أول من نوه بالقراءات السبع[60].

1 - قراءة عبد الله بن كثير الداري المكي المتوفى سنة 120 هـ

2 - قراءة عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي المتوفى سنة 118 هـ

3 - قراءة عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي المتوفى سنة 127 هـ

4 - قراءة أبو عمرو زبان بن العلاء البصري المتوفى سنة 154 هـ

5 - قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي المتوفى سنة 156 هـ

6 - قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني المتوفى سنة 169 هـ

7 - قراءة أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي المتوفى سنة 189 هـ

هل الأحرف السبعة موجودة في المصاحف العثمانية؟

قال بعض العلماء: إن الموجود في المصاحف العثمانية، وهي المصاحف التي بين أيدي الناس اليوم، هو حرف واحد. يقول ابن جرير الطبري: إن الذي في المصاحف العثمانية إنما هو الحرف الذي ارتضته الأمة زمن عثمان، وهو الذي وافق العرضة الأخيرة. وأما الأحرف الأخرى فقد اندثرت؛ لأن القراءة بها لم تكن على سبيل الإلزام، وإنما كانت على سبيل الرخصة، وقال أبو عمر بن عبدالبر: ,... ومصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم هو حرف واحد، وعلى هذا أهل العلم.

«مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح» (ص101):

مثال توضيحي:

«روى البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ.

فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ). فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ). ثُمَّ قَالَ: (اقْرَأْ يَا عُمَرُ). فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فاقرؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"[61].

فوائد:

- «ليس لقارئ القرآن الحرية في قراءة القرآن بحسب ما يرى ولو شذ بل لابد من التزام الكيفيات أو الوجوه المنقولة إلينا تواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ بوجه منها أو أكثر»[62].
- قيل لإن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم، فأكثر بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، أو ثقيف، أو كنانة، أو تميم، أو اليمن. وهذا أصح الأقوال وأقواها.
- وقيل: إن المراد بالأحرف السبعة الاختلاف في أمور سبعة وهي[63]:

أ -اختلاف الأسماء إفراداً وتذكيراً وفروعها .

مثاله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾. فكلمة أماناتهم، قرئت بالجمع والإفراد.

ب _الاختلاف في تصريف الأفعال من مضارع وماض وأمر.

مثاله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ بنصب لفظ ربنا على أنه منادى وبلفظ باعِدْ فعل أمر .وقرئ: ربُّنا بَعَّدَ برفع ربُّ على أنه مبتدأً وبلفظ بعَّد فعلاً ماضياً. مضعف العين، جملته خبر.

ج -الاختلاف بالإبدال سواء كان ابدال حرف بجرف كقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾. قرئ بالزاي وبالراء مع فتح النون.

د/ -اختلاف بالتقديم والتأخير إما في حرف كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْأَسِ﴾ قرئ: ﴿أَفَلَمْ يأيْسِ﴾.

هـ-اختلاف وجوه الإعراب كقوله: -سبحانه- ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ قرأ ابن مسعود بالرفع.

و -الاختلاف بالزيادة والنقص كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ قرئ: (والذ كر والأنثى) بحذف: (ما خلق).

ز -اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والإمالة والإظهار والإدغام وهو كثير، ومنه الإمالة وعدمها في مثل قوله: تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ .وهذا الرأي الأخير قد ذهب إليه الرازي وقاربه كل القرب مذهب ابن قتيبة وابن الجزري وابن الطيب، وقد أخذ به الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان، وأيده ببعض الأدلة.

المحاضرة التاسعة

مناهج التفسير ونقدها:
1- معنى التفسير والتأويل والشرح، شروط المفسر (العلمية والذاتية)، تاريخ التفسير، (في عهد الصحابة، والتابعين وعصر التدوين)

مدخل:

رغم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه، ويدركون أغراضه ومراميه، وإن تفاوتوا في هذا الفهم والإدراك، تبعا لاختلاف درجاتهم العلمية، ومواهبهم العقلية، أكد ذلك ابن قتيبة في قوله: "إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض"[64]. وهو يختلف مع رأي ابن خلدون الذي يزعم بأن الصحابة جميعا كانوا في فهمه سواء، حين قال: "إن القرآن أنزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"[65].

ثم إن الله عز وجل قد أنزل كتابه العظيم ليكون دستورا للمسلمين، ومنهاجا يسيرون عليه في حياتهم، فيجلب لهم الفوز بالدارين الدنيا والآخرة، ومن البديهي أن العمل بالتعاليم والأحكام لا يكون إلا بعد تفهم القرآن وتدبره، وهذا الفهم لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان، لما تدل عليه آيات القرآن. وهو ما نسميه: (علم التفسير).

معنى التفسير والتأويل والشرح

التفسير في اللغة: التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]. أي بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف. جاء في لسان العرب: "الفسر: البيان فسَّر الشيء يُفسِّره (..) فسراً. وفسَّره أبانه. والتفسير مثله. والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[66]. ويُطلق التفسير أيضاً بمعنى التعرية للانطلاق، تقول العرب: فسّرتُ الفرس: أي عرَّيت ظهره من السرج لينطلق في الجري، وهو راجع لمعنى الكشف[67]. ومن هذا يتبين لنا أن التفسير يُستعمل لغة في الكشف الحسِّي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.

أما في الاصطلاح فالتفسير: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[68]. ويعرف أيضا بأنه: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية"[69]. وهذا العلم فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقي، وإذا تركه الكل أثموا جميعا.

مراتب التفسير وحكمها:

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن التفسير أربعة: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب بألسنتها، وتفسير تفسره العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. أما التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته: فهو ما يظهر للأفهام معرفة معناه من القرآن ظهورا لا خفاء فيه. وأما التفسير الذي تعرفه العرب بلغاتها: فهو ما يرجع إلى اللسان العربي من اللغة والإعراب وعلوم العربية. وأما التفسير الذي يعلمه العلماء: فهو ما يرجع إلى اجتهادهم ودقة نظرهم في استنباط دقائقه من المعاني الخفية أو أوجه البلاغة المعجزة، أو الأحكام الفقهية، أو غير ذلك بحسب اختصاص العالم الباحث وأما القسم الرابع: فهو ما يتعلق بحقائق المغيّبات كالروح والملائكة، فهذه يفوّض علمها على حقيقتها إلى الله تعالى[70].

التأويل في اللغة: بمعنى الأوْل أي الرجوع، فكأن المفسر أرجع الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وأكثر العلماء القدامى يرون ان التأويل مرادف التفسير. والتأويل اصطلاحا عند المتقدمين بمعنى التفسير، فيقال تفسير القرآن ويقال تأويل القرآن بمعنى واحد، ومثال ذلك تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ومن معاني التأويل: ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتمل عدة معان[71]. واشتهر عند العلماء المتأخرين أن هناك فروقا كبيرة بين التفسير والتأويل.

التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية. والتفسير كشف معاني القرآن الظاهرة، والتأويل استنباط المعاني الخفية والأسرار الربانية اللطيفة للآية. التفسير ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في السنة، لأن معناه قد ظهر ووضح، والتأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، وغير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط. والتفسير قطع على أن المراد هذا، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات دون قطع، وهو كشف ما انغلق من المعنى. الشرح في اللغة: الشرح بيان المشروح، وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور، ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن[72].

شروط المفسر وآدابه:

ورد النهي عن القول في القرآن بغير علم والوعيد الشديد على من اجترأ على ذلك، ولذلك وضع العلماء شروطًا لمن أراد أن يفسر القرآن ليخرج من هذا الوعيد ويصبح من أهل التفسير والتأويل. ولا عجب أن يكون للمفسر شروطًا بل العجب أن يجترئ على كلام الله كل من هب ودب. ومجمل الشروط التي وضعها العلماء للمفسر هي شروط المفسر

أولًا: سلامة العقيدة: فإن من انحرفت عقيدته يعتقد رأيا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين1، فإذا فسر القرآن أوَّل الآيات التي تخالف مذهبه الباطل، وحرفها حتى توافق مذهبه، ومثل هذا لا يطلب الحق فكيف يُطلب منه! ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والمعتزلة وغلاة الصوفية وغيرهم.

ثانيًا: التجرد عن الهوى: فإن الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلا، ويصرفه عن غيره ولو كان حقا.

ثالثًا: أن يكون المفسر عالما بأصول التفسير: وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالما بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها.

رابعًا: أن يكون عالما بالحديث رواية ودراية: إذ إن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هي المبينة للقرآن، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن"2. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "السنة تفسر القرآن وتبينه".

خامسًا: أن يكون عالمًا بأصول الدين: وهو "علم التوحيد" حتى لا يقع في آيات الأسماء والصفات في التشبيه أو التمثيل أو التعطيل.

سادسًا: أن يكون عالمًا بأصول الفقه: إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق المقيد، ودلالة النص وإشارته ودلالة الأمر والنهي. وغير ذلك.

سابعًا: أن يكون عالمًا باللغة وعلومها: كالنحو والصرف والاشتقاق، والبلاغة بأقسامها الثلاثة "المعاني والبيان والبديع". ذلكم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وهذه العلوم مما يتوصل بها إلى معرفة المعنى وخواص التركيب ووجوه الإعجاز فيه.

ثامنا: الموهبة. ما يورِّثه الله تعالى لمن يعمل بعلمه. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ**﴾ [البقرة: 282]. قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له. وهذه الشروط -كما ترى- عزيزة المنال ولهذا تحرج كثير من السلف من القول في القرآن بغير علم لتمكن الإيمان من قلوبهم واستحضارهم الخوف من الله تعالى، وإذا رأيت من يجترئ على القول في القرآن بغير علم فاعلم أنه من نقص إيمانه، والله المستعان. ومن العلماء من أضاف علومًا أخرى إلى هذه العلوم، حتى يتسنى للمفسر أن يكون على علم واسع في تفسيره لكتاب الله تعالى[73].

ومن هذه العلوم، علم تاريخ البشر، وعلم السيرة النبوية، والعلوم الكونية، وعلم الاجتماع البشري. وكذلك علم تاريخ الأديان السماوية. وكذا المذاهب الدينية غير السماوية كالبرهمية، والبوذية، والمزدكية والمانوية وغيرها. فإذا كان من يتعرض لتفسير كتاب الله على علم بهذه العلوم كلها . ما ذكرها السيوطي وغيره من العلماء . فقد استأهل أن يفسر القرآن الكريم.

آداب المفسر:

وكما أن للمفسر شروطا فإن له آدابا ينبغي عليه الالتزام بها وهي كثيرة منها؛

1- **الإخلاص**: بأن يريد بعمله وجه الله، وأن يطلب رضاه، ولا يبتغي بذلك جاها ولا منصبا، فإن ابتغى غير ذلك ضل وأضل

2- **العمل**: فإنه إذا دعا إلى خير فعليه أن يكون أول المؤدين له حتى يلقى القبول من الناس، وإذا نهى عن أمر وجب أن يكون تاركا له نابذا إياه، فإن الناس إذا رأوه يأمر ولا يفعل وينهى ولا يمتثل نفروا عنه وعن أقواله وإن كانت حقا

3- **حسن الخلق**: في قوله وفي فعله وفي سمته، فإن هذا مما يجذب النفوس إليه، وإذا انجذبت إليه أقبل عليه السمع والبصر

تاريخ التفسير (في عهد الصحابة، والتابعين وعصر التدوين)[74]

بدأ التفسير ***<u>في عهد النبيّ</u>*** -صلّى الله عليه وسلّم-؛ إذ كان القرآن ينزل على النبيّ -عليه الصلاة والسلام- مُفرَّقاً حسب الحوادث، والوقائع، وكان -عليه الصلاة والسلام- يُفسّر للصحابة، ويُبيّن لهم ما أُشكِل عليهم من معاني الآيات المُنزّلة. وهو -عليه الصلاة والسلام- أعلم الناس بالقرآن الكريم، ومعانيه، وهو المصدر الأوّل في تفسير القرآن على الإطلاق، ومن أمثلة تفسيره -صلّى الله عليه وسلّم- آياتِ القرآن، تفسيرُه قولَ الله -تعالى-: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (فإنَّه نَهْرٌ وعَدَنِيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ.

وقد أخذ ***<u>بعض الصحابة</u>*** -رضوان الله عليهم- العلم بالقرآن الكريم، وببيان معانيه وألفاظه عن النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ فكان منهم ستّة عشر صحابيّاً من أئمّة التفسير، ومن بينهم عائشة -رضي الله عنها-، ومنهم من كانت آراؤه في التفسير يسيرة، ولم يرِد عنه سوى القليل. ومنهم من أكثر منه، وأصبح عَلَماً فيه؛ فأكثروا من الرواية عن النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، واجتهدوا في تفسير ما لم يَرد فيه شيء عنه -عليه الصلاة والسلام-، وهم أربعة: عبدالله بن عباس -رضي الله عنه -عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه -علي بن أبي طالب -رضي الله عنه -أبيّ بن كعب -رضي الله عنه -ومع توسُّع المسلمين في الأمصار، وانتشار الصحابة، نشأت في كلّ بلد ذهبوا إليها مدرسة للتفسير؛ فكان ابن عبّاس في مكّة، وأبيُّ بن كعب في المدينة، وعبدالله بن مسعود في الكوفة،

ومن هنا انتشر علم التفسير من الصحابة إلى تابعيهم، ومنهم إلى تابعيهم، وهكذا، وكانت الوسيلة الأولى لحِفظ هذا العلم حِفظه في الصدور؛ بوصفها الوسيلة الأهمّ؛ لحِفظ العِلم. وكان الصحابة -رضي الله عنهم- قليلي الاختلاف فيما يخصّ فَهم معاني القرآن، وتلك إحدى مُميّزات التفسير في عصرهم، كما أنّهم كانوا يكتَفون في تفسير الآية بالمعنى الإجماليّ لها، كما أنّ الخلاف المَذهبي حول الآيات كان قليلاً، وكان التفسير يأخذ شكل رواية الحديث، ولم يُدوّن في عصرهم، وإنما كان يُحفَظ سماعاً، وكانوا -رضي الله عنهم- قليلي الأخذ من أهل الكتاب.

<u>التفسير في عصر التابعين:</u>

يُعَدّ عصر الصحابة المرحلة الأولى من مراحل التفسير، وقد بدأت مع انتهاء عصرهم المرحلةُ الثانية من مراحل نشوء علم التفسير وتطوُّره؛ وهي مرحلة التابعين من تلاميذ الصحابة -رضوان الله عليهم-، وكان القرآن الكريم مصدرهم الأوّل للتفسير في تلك الفترة؛ إذ كان يُفسّر بعضَه بعضاً. ثمّ سُنّة النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- والتي وصلت إليهم عن طريق الصحابة، ثمّ ما فسَّرَه الصحابة أنفسهم، وما أُخِذَ من أهل الكتاب، وإن لم يجدوا في ذلك كلّه، اجتهدوا برأيهم وبنَظَرهم في كتاب الله -تعالى-.

وقد قامت في تلك الحِقبة عدّة مدارس للتفسير في البلاد المفتوحة، والأمصار المختلفة، وبيان هذه المدارس كالآتي :أوُلى هذه المدارس وأشهرها مدرسة مكّة المُكرَّمة التي كان على رأسها الصحابيّ عبد الله بن عبّاس -رضي الله عنه-، ومن بَعده تلاميذه: سعيد بن جبير، وعِكرمة، وطاووس بن كيسان، ومُجاهد، وعطاء بن أبي رباح. وثانيها مدرسة المدينة، وأشهر المُفسِّرين من التابعين فيها: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم.

وثالثها مدرسة العراق، والتي تتلمذَ المُفسِّرون فيها على يد الصحابيّ عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-، وأشهرهم: مسروق بن الأجدع الكوفيّ، وقتادة بن دعامة السدوسيّ البصريّ، والحسن البصريّ، ومرّة الهمذانيّ.[٦ [وقد اعتمد المُفسِّرون في هذه المرحلة على التلقّي، والرواية، بالإضافة إلى الاختصاص الذي اتَّسمَت به مدرسة التفسير من حيث تبعيّة كلّ واحدة منها لصحابيّ

التفسير منذ عصر التدوين الى اليوم

بدأ عصر تدوين التفسير في بداية القرن الثاني الهجريّ مع بَدء تدوين الحديث الشريف؛ إذ كانت تُفرَد للتفسير أبوابٌ خاصّةٌ ضمن كُتب الحديث، وكان التدوين في هذه المرحلة يأخذ شكل التدوين بالإسناد؛ أي بذِكر سَنَد الأحاديث، والأقوال المذكورة. ومع استقلال العلم، وانتشار الكتابة والتدوين، أصبحَت للتفسير كُتبٌ خاصّةٌ مُستقِلّةٌ عن كُتب الحديث، فبدأت هذه الكُتُب تُورد الأقوالَ دون إسنادها إلى أصحابها؛ وهو ما يُطلَق عليه (اختصار الأسانيد)، ويُعَدّ هذا الأمر سلبيّاً فيها، وهذا ما أدّى إلى ورود العديد من الأقوال الموضوعة، وكثرة النَّقْل من الإسرائيليّات.

وكان استقلال هذا العلم على أيدي عدد من العلماء، كابن جرير الطبريّ، وابن ماجة، وكان التفسير مُعتمِداً على التفسير بالمَأثور، وفي العصر العبّاسي بدأ التفسير العقليّ؛ أي بالفَهم الشخصيّ، والرأي، والنَّظَر، ودخل في ذلك علم اللغة العربيّة، والفِقه، كما دخلت في ذلك النَّزْعة العقليّة المَذهبيّة. وقد اتّخذ التفسير ***في العصر الحديث*** مَنحىً جديداً؛ فانتشرت المَطابع، ونَشَطت حركات التأليف في العلوم الإسلاميّة، وظهرت نزعات تفسيريّة جديدة؛ إذ أثّرَت الأحداث، والوقائع، والاتّجاهات في طريقة التفسير؛ فظهرت النزعة العِلميّة بإدخال النظريّات العِلميّة في تفسير القرآن، إلّا أنّ التفسيرات الحديثة تميَّزَت بسهولة العبارة، والوصول إلى شريحة أكبر، ومنها: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير المراغي، والتفسير الحديث[75]. ومن أنسب التفاسير لطالب الأدب (صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني)، لما يتضمنه من شرح وبيان وبلاغة وأسلوب مبسط مختصر وجامع وملخص من أمهات التفاسير.

المحاضرة العاشرة

مناهج التفسير ونقدها:
2- التفسير بالمأثور: خصائصه، أعلامه، نقده، التفسير بالرأي: خصائصه، أعلامه، نقده

مدخل:

التفسير ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور. وتفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي. وتفسير الإشارة، ويسمى التفسير الإشاري. ويضيف بعضهم قسما رابعا، وهو تفسير باطني، ويسمى التفسير الباطني.

معنى التفسير بالمأثور:

هو تفسير القرآن الكريم بما جاء في القرآن الكريم أو السنة، أو أقوال الصحابة والتابعين، مما ليس منقولا عن أهل الكتاب اليهود والنصارى. ويسمى التفسير -أيضا- التفسير بالرواية، والتفسير بالنقل. ومثال ما جاء من تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 1]، قد جاء تفسيرها في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 3].

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق: 1]، جاء تفسيره في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]، فسره قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: 3]، فسره قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 1].

ومن مثال ما جاء من تفسير القرآن بالسنة: ومثال ذلك ما ورد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "لمَّا نزل قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَم يَلبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُّهتَدُونَ﴾** [الأنعام: 82]، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس ذاك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قولَ لقمان لابنه: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** {لقمان: 13} " (3).

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى بصلاة العصر، فعن عبد اللَّه بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلاةِ الْعَصْرِ حَتَّى احْمَرَّتِ الشَّمْسُ

أَوِ اصْفَرَّتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى صَلاَةِ الْعَصْرِ مَلأَ اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا". وبذلك قد فسر -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: 238].

ومن تفسير القرآن بقول الصحابي ومثاله: تفسير ابن عباس لسورة النصر، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: 1-3]. وأنها علامةُ أجلِ النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس قال: "كان عمر يُدْخِلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدْخِل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممَّن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا لِيُرِيَهم مني.

فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ [النَّصر: 1]، حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفُتِحَ علينا، وقال بعضهم: لا ندري، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به: [إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ] {النَّصر: 1}، فتح مكة، فذلك علامة أجلك [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] {النَّصر: 3}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم".

ومن أهم مؤلفات التفسير بالمأثور:

1-جامع البيان في تأويل آي القرآن، للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
2-تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ ابن كثير البصري.
3-الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي جلال الدين

من أعلامه:

اشتهر بالتفسير من الصحابة الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وهناك من تلك من الصحابة فى التفسير كأبى هريرة «ت 57 هـ» وجابر بن عبد الله (ت 74 هـ) وعبد الله بن عمر (ت 73 هـ) وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت 63 هـ) وأنس بن مالك (ت 91 هـ).

نقد التفسير بالمأثور:

1-التفسير بالمأثور من أجود أنواع التفسير إذا صح سنده للرسول صلى الله عليه وسلم أو غلى الصحابة
2-أكثر التفسير المأثور قد انتقل إلى الرواة من الفرس واليهود
3-تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة الصحيحة لا شك في قبوله وأنه من أعلى مراتب التفسير
4-تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة والتابعين فقد تسرب إليه كثير من الضعف.

5-اختلف العلماء في تصنيف تفسير التابعي، هل هو من التفسير بالمأثور أم من التفسير بالرأي
6-إيراد الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات

معنى التفسير بالرأي:

المراد بالرأي هنا الاجتهاد المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة، يجي أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه، وليس المراد به مجرد الرأي أو مجرد الهوى، أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر، أو بحسب ما يشاء. قال القرطبي: "من قال في القرآن بما سنح في وهمه، أو خطر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ مذموم". عن ابنِ عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: ((اتّقُوا الحديثَ عَنِّي إلا ما عَلِمتُم، فَمن كَذَبَ عليَّ مُتَعمِّدًا، فلْيتبَوّأ مَقعَدَه من النَّارِ، ومن قال في القُرآنِ بِرأيِه فَلْيتبوَّأ مَقعَدَه من النَّارِ))[76]. وقال أبو محمد البغوي: "هو صرف الآية إلى معنى محتملٍ موافق لما قبلها، وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"[77]

أنواع التفسير بالرأي:

-التفسير بالرأي المحمود: يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه؛ مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفًا بقوانين اللغة، خبيرًا بأساليبها، وأن يكون بصيرًا بقانون الشريعة، حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه. هذا هو التفسير المحمود او المشروع.

-التفسير بالرأي المذموم: هو أن يفسر القرآن بغير علم، أو حسب الهوى، مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، أو يحمل كلام الله على مذهبه الفاسد، وبدعته الضالة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم بأن المراد من كلام الله هو كذا وكذا، التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة، أو الشريعة. ومنها: السير مع الهوى، والاستحسان.

ومثال ما ورد عن بعض الجهلة في تفسير قوله تعالى ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ [الإسراء: 71]. أن المراد بها أن الله تعالى ينادي الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم سترا عليهم. فقد فسر هذا الجاهل (الإمام) (بالأمهات)وعلى أن الإمام جمع أم، مع أن اللغة العربية تأبى هذا، لأن جمع الأم أمهات، ولا يكون جمع الأم إماما، فإن ذلك فاسد لغة وشرعا، والمراد بالإمام في الآية النبي الذي اتبعته أمته، أو كتاب الاعمال بدليل تتمة الآية: ﴿**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ [الإسراء: 71].

حكم التفسير بالرأي:

التفسير بالرأي .هو التفسير القائم على الاجتهاد، وقد اختلف العلماء حوله منذ القدم بين مجيزٍ لذلك ومانع له. فالذين أجازوه استدلوا بالآيتين التاليتين:- قوله تعالى :﴿أفلا يتدبرون القرآن أَمْ علىَ قلوبٍ أَقفالها﴾ محمد : 24 . وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83].

ففي هاتين الآيتين ما يدل على أن معاني القرآن لا يصل إليها إلا أهلُ الاستنباط والاجتهاد، بما يملكون من مواهب؛ كما أن في الآية أمرًا بالتدبر والاجتهاد في استنباط معانيه. كما كان اختلاف الصحابة . رضوان الله عليهم . في بعض أقوالهم في تفسير القرآن، يدل على أنهم فسروه باجتهادهم القائم على معرفتهم الخاصة، إذ لولا ذلك لاتفقت أقوالهم. كما كان أيضًا دعاء النبي لابن عباس رضي الله عنهما((**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**)) على جواز الاجتهاد في فهم القرآن.

أما الذين منعوا التفسير بالرأي فلهم أدلتهم التي اعتمدوا عليها وهي:- قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ النحل .44 : فهذه الآية في رأيهم جعلت تفسير القرآن وبيانه للنبي وحده دون غيره قوله تعالى ﴿ ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف : 33] . فحرّم الله على عباده القول على الله بدون علم، والتفسير بالرأي . عند المانعين . قول على الله بدون علم. ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي [3]: ((من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)) ، وما رُوي عن أبي بكر رضي الله عنه: ((أي سماءٍ تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله)). إضافة إلى امتناع بعض السلف عن القول في القرآن برأيهم. فالمانعون يرون أن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، فلا يجوز لأحد الإقدام عليه لأنه حرام.

أشهر كتب التفسير بالرأي

-1 .**مفاتيح الغيب** للفخر الرازي (ت 606هـ). 2 -**أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للبيضاوي (ت 691هـ). 3 -**مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي** (ت 701هـ). 4- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (ت 741هـ). 5 -**البحر المحيط** لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ). 6-**السراج المنير** للخطيب الشربيني (ت 977هـ). 7 -**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** لأبي السُّعود (ت982 هـ). 8 -**تفسير الجلالين** :لجلال الدين المحلّي (ت 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)

النتيجة:

هناك خلاف بين العلماء في المقدار الذي فسره الرسول في القرآن، فمنهم من يرى أنه عليه الصلاة والسلام فسر القرآن كله، ومنهم من يرى أنه فسر القليل، والأصوب أنه فسر ما أشكل على الصحابة واختلفوا فيه وسألوه عنه، فلم يكن قليلاً، ولم يستوعب القرآن كله. فما لم يفسره، هو الذي فيه مجال لأهل الفقه والعلم والاستنباط والنظر، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: 24] .

إن الاجتهاد في التفسير ليس قولاً على الله بغير علم، وإنما استعمال للعقل الذي أنعم الله به على الإنسان مع شروط يجب توافرها فيمن يقوم بهذا الاجتهاد. إن المجتهد مأجور، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر. فالاجتهاد البعيد عن الهوى والضلالة والجهالة أمرٌ غير مذموم. وقد ورد عن أبي بكر رضي الله عنه حين سُئل عن الكلالة فقال: أقول فيها برأي؛ فإن كان صوابًا فمن الله وإن كان غير ذلك فمنِّي ومن الشيطان، ثم فسَّر معنى الكلالة. أما امتناع أبي بكر وغيره من الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن برأيهم فيحمل على الورع والاحتياط وخشية الوقوع في الزلل.

المحاضرة الحادية عشرة

مناهج التفسير ونقدها:
3- التفسير اللغوي: خصائصه، أعلامه، نقده.

مدخل:

كانت هناك حركة لغوية لتفسير القرآن وإعرابه، فكما دُوِّنت علوم اللغة والنحو أُثيرت مشكلات لغوية ونحوية في رحاب القرآن الكريم، فالنّحويون أخذوا القرآن الكريم مادة من موادهم لاشتقاق قواعدهم وتطبيقها فأعربوا القرآن إعرابا أعان على تفسيره. واللغويون وضعوا الكتب في غريب القرآن كما فعل أبو عبيدة (ت 210 ه) وكان لذلك دخل في إيضاح بعض الآيات.

والتعرّض للآيات التي ظاهِرُها التعارض كما فعل قطرب (ت 206ه) مثل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] مع قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور: 25]. ومن اللّغويين من عنى ببيان مجازات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَآ﴾ [محمد: 4]. ومنهم من تعرض للمشكلات النحوية مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: 63] ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: 162]، إلى آخر ما سلكوا من مناهج مختلفة»[78].

ما هو التفسيرُ اللغويُ؟

بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب. أمَّا الشِقُّ الأولُ مِنَ التعريفِ، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عامٌّ يشملُ كُلَّ مصادرِ البيانِ في التَّفسيرِ؛ كالقرآنِ، والسُّنَّةِ، وأسباب النزول، وغيرها. وأمَّا الشِّقُّ الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنه قَيدٌ واصفٌ لنوعِ البيانِ الذي وَقَعَ لتفسيرِ القرآنِ، وهو ما كان طريقُ بيانِه عن لغةِ العربِ. وبهذا النَّوعِ من البيانِ يخرجُ ما عداه من أنواعِ البيان؛ كالبيانِ الكائنِ بأسبابِ النُّزولِ وقصصِ الآيِ، أو غيرِها مما ليس طريقُ معرفتِه اللُّغةُ. كما يخرج بهذا القيدِ ما كان طريقُ بيانِه بغيرِ لغةِ العربِ، كمن يُفسِّرُ بمدلولاتٍ لا تُعرفُ عند العربِ؛ كالمصطلحاتِ الحادثةِ[79].

والمرادُ بما وردَ في لغةِ العربِ: ألفاظُها وأساليبُها التي نزلَ بها القرآنُ. وقد أشارَ إلى هذا الشَّاطِبِيُّ، فقال: «فإنْ قلنا إنَّ القرآنَ نزلَ بلسانِ العربِ، وإنَّه عربيٌ، وإنه لا عُجْمَةَ فيه، فيعني أنه أُنزِلَ على لسانِ معهودِ العربِ في ألفاظِها الخاصةِ وأساليبِ معانيها، وأنها فيما فُطِرتْ عليه من لسانِها تُخَاطِبُ بالعامِّ يُرَادُ به ظاهره، وبالعَامِّ يراد به العَامُّ في وجهٍ والخاصُّ في وجهٍ، وبالعَامِّ يُرادُ به الخاصُّ، وظاهرٌ ويُرادُ به غيرُ الظاهرِ، وكلُّ ذلك يُعرَفُ من أوَّلِ الكلامِ أو وسطِه أو آخرِه ...»[80].

ويطلق مصطلح التفسير اللغوي ويراد به: بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب. وهذا هو التفسير اللغوي بمعناه الضيق. ويطلق ويراد به: التفسير الذي يُعنى بالقرآن الكريم مِن حيث غريب مفرداته وأصولها، وإعرابه، وبلاغة أسلوبه. وهذا هو التفسير اللغوي بمعناه الواسع، فيضم ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: ما يتعلق باللفظة القرآنية المفردة - اسماً وفعلاً وحرفاً-، وذلك يشمل: تفسير المفردات (علم اللغة)، والحديث عن اشتقاق الكلمة وتصريفها، ودلالات حروف المعاني. القسم الثاني: ما يتعلق بتخريج تراكيب القرآن على القواعد النحوية، وهو علم إعراب القرآن. القسم الثالث: ما يتعلق ببيان بلاغة الأسلوب القرآني، ويشمل: علوم البلاغة القرآنية[81].

أشهر كتب التفسير اللغوي

- كتاب معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: 207هـ)
- كتاب معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت: 211هـ)
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: 210هـ)
- كتاب معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السّريّ الزجاج (ت: 311هـ)
- تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي (849-911هـ) -وجلال الدين المحلي (798-864هـ)
- تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور (1897-1973م)

نماذج من التفسير اللغوي:

- ومن أمثلةِ تفسيرِ الألفاظِ، تفسيرُ لفظ «استوى» في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [يونس: 3]، قال أبو عبيدة: «مَجَازُهُ: ظَهَرَ عَلَى العَرْشِ وعَلاَ عَلَيه. ويُقالُ: اسْتَوَيتُ على ظَهْرِ الفَرَسِ، وعلى ظَهْرِ البَيتِ»[82].
- ومن أمثلةِ تفسيرِ الأساليبِ، تفسيرُ أبي عبيدة (ت: 210هـ) لقوله تعالى: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: 191]، قال: «والعربُ تختصرُ الكلامَ ليخفِّفُوه، لِعِلْمِ المستمعِ بتمامِه، فكأنه في تمامِ القولِ: ويقولون: ربنا ما خلقتَ هذا باطلاً»[83].
- ومن أمثلة التفسير اللغوي، تفسير سورة اللهب، من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: سورة اللَّهَب 1- {تَبَّتْ} خسرتْ. 2- {وَمَا كَسَبَ} يعني: وما وَلَدَ. 4- {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} يعني: النميمةَ. ومنه يقال: فلان يَحْطِبُ عليَّ؛ إذا أغْرَى به.

5- {فِي جِيدِهَا} أي: في عُنُقِهَا؛ {حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} أي: فُتِلَ [منه] . يقال: هو السِّلسلةُ التي ذكرها الله في "الحاقَّة"[84].

ومن امثلته أيضا إعراب القرآن: [سورة النصر (110) :

إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1)

«إِذا» ظرفية شرطية غير جازمة «جاءَ نَصْرُ اللَّهِ» ماض وفاعله ولفظ الجلالة مضاف إليه والجملة ابتدائية لا محل لها «وَالْفَتْحُ» معطوف على ما قبله.

[سورة النصر (110) : آية 2]

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً (2)

«وَرَأَيْتَ» ماض وفاعله «النَّاسَ» مفعول به والجملة معطوفة على ما قبلها «يَدْخُلُونَ» مضارع وفاعله «فِي دِينِ اللَّهِ» متعلقان بالفعل ولفظ الجلالة مضاف إليه «أَفْواجاً» حال والجملة حال.

[سورة النصر (110) : آية 3]

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً (3)

«فَسَبِّحْ» الفاء رابطة وأمر فاعله مستتر والجملة جواب إذا لا محل لها «بِحَمْدِ» متعلقان بالفعل «رَبِّكَ» مضاف إليه «وَاسْتَغْفِرْهُ» أمر ومفعوله والفاعل مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها. «إِنَّهُ» إن واسمها «كانَ» كان واسمها المستتر «تَوَّاباً» خبرها والجملة الفعلية خبر إن. والجملة الاسمية تعليل لا محل لها.

المحاضرة الثانية عشرة

مناهج التفسير ونقدها:
2- التفسير البياني والأدبي: خصائصه، أعلامه، ونقده.

مدخل:

تناول المفسرون الأقدمون أيضًا القرآن الكريم، فتوسعوا فيه توسُّعًا ظاهرًا ملموسًا من النواحي اللغوية والبلاغية والأدبية والفقهية والنحوية والمذهبية والكونية، وفهموا أن القرآن هو كتاب العربية الأكبر، وما كادوا يتركون لمن جاء بعدهم من عمل جديد، أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي ألّفوها، اللهم إلا عملاً ضئيلا لا يعدو أن يكون جمعًا لأقوال المتقدمين، أو شرحًا لغامضها أو نقدًا وتفنيدًا لما يعتريه الضعف منها، أو ترجيحًا لرأي على رأي، مما جعل محاولات التفسير تقف وقفة طويلة خالية من التجديد والابتكار.

تعريف التفسير البياني والأدبي:

التفسير البياني هو نفسه التفسير الأدبي، وهو لون جديد من ألوان التفسير ظهر فى العصر الحديث، أراد به رواده البعد عن المباحث التحليلية الدقيقة، والمصطلحات والتخصصات العميقة، التي ربما تقف حائلا دون هداية الناس إلى المراد من إنزال القرآن الكريم. فتناولوا بيان النص القرآني بطريقة تظهر مواضع دقته وبلاغته، بأسلوب شائق جذاب، ثم طبقوا ذلك النص على ما في الكون من نظم العمران، وسنن الاجتماع، بما يظهر للناس أن سعادتهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة رهن العمل بهذا القرآن.

أهدافه:

1 -بيان أن القرآن الكريم هو الأصل في التشريع، وأنه كتاب العربية الأول.
2 -إظهار ما في القرآن الكريم من شفاء لكل الأمراض الاجتماعية.
3 -تفنيد كل الشبهات التي أثيرت حول الإسلام.
4 -البعد عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة.
5 -تحذير الناس من الإسرائيليات، لما لها من آثار خطيرة فى التفسير، بل فى العقيدة ذاتها، لأنها تصور الإسلام على أنه دين خرافات وأوهام[85].

خصائصه ومنهجيته:

*/ عدم الخوض فيما استأثر الله -تعالى- بعلمه، وعدم التكلف -غالبا- في تعيين مبهمات القرآن، حتى يظل للإسلام نبعه الصافي بعيدا عن الظنون والتخيلات.

*/ سهولة العبارة وبلاغتها، وعدم استخدام مصطلحات العلوم والفنون، إلا بقدر الضرورة، لأن الزج بتلك المصطلحات يصرف الناس عن تدبر القرآن والعمل به.

*/ تحقيق مجموعة من التأثيرات النفسية والاجتماعية وبالتالي تتحقق أهداف الرسالة الإسلامية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

*/ إبعاد التفسير العلمي، وعدم المبالغة في تقديمه والخوض فيه.

*/ الدراسة الخاصة فيما لا بد لمعرفته حول القرآن، وتتمثل في علوم القرآن، مثل: أسباب النزول والجمع والقراءات والناسخ والمنسوخ وغيرها.

*/ إيراد معاني الآيات القرآنية حسب ألفاظها العربية كما كان يفهما أهل العربية في عهد نزول القرآن ولا تجاوز ذلك؛ فتحمِّل ألفاظ القرآن معاني باطنية أو إشارية، أو تأويلات مذهبية، أو منطقية بعيدة عن الطبيعة اللغوية، أو بلاغة فلسفية نظرية بعيدة عن الأجواء الفنية.

*/ النظرة الموضوعاتية، أي تفسير القرآن موضوعاتٍ، لا سوراً وأجزاء وقطعاً متصلة، للوصول من خلالها إلى رؤية متكاملة نحو موضوع ما في الحياة أو الكون أو الإنسان، أو عالم الغيب أو الشهود.

*/ النظر إلى البيئة المادية والمعنوية، التي ظهر فيها القرآن وعاش، وفيها جُمع وكُتب وقُرئ وحُفظ، وخاطب أهلها أول من خاطب. فروح القرآن عربية، ومزاجه عربي، وأسلوبه عربي؛ أي بمعنى تحقيق النص القرآني،

*/ معالجة النصوص القرآنية معالجة تقاوم على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونظم العمران.

*/ اكتشاف روعة البيان القرآني ودقته التعبيرية في كيفية معالجة قضايا النفس الإنسانية المتشعبة ويبين رقة اللفظ القرآني ورشاقته الفنية في التصوير والتشخيص، وكيف يجعل المعنوي حسيا ماثلا أمام القارئ وهذا ما يعرف بالتشخيص أو التصوير، فيترك آثاره الهائلة على النفس البشرية.

*/ جعلوا من تفسير القرآن مجالا رحبا وطرائق ميسرة يلتمسون بها ما يرونه ويحسون به من المشكلات الاجتماعية بشكل لم يسبق إليهم لا في طريقة عرضهم ولا في قدرتهم على استخراج العلاج من خلال الآية أو الآيات فكم من قضية اجتماعية تعرضوا لها وناقشوها في دروس التفسير مناقشة جعلت من هذا الدرس منارة يهتدي بها كل حائر، وموئلا يقصده كل راغب في الإصلاح.

*/ البدء بالنظر في المفردات، معنى المفردات في الاستعمال القرآني حسب ورودها، والتعرف على معانيها المختلفة، إن وجدت لها معان متعددة.

*/ نظر المفسر الأدبي في المركبات، وهو في ذلك يستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة، باعتبارها أداة من أدوات بيان المعنى والجمال القولي في الأسلوب القرآني.

*/ حضور الإصلاح الاجتماعي والإصلاح النفسي في مقاصد القرآن من خلال التفسير الأدبي.

مصنفات التفسير الأدبي:

1/ تفسير الشيخ محمد عبده.

2/ تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا.
3/ تفسير المراغي، الشيخ محمد مصطفى المراغي.
4/ تفسير القرآن الكريم، الشيخ محمود شلتوت.
5/ تفسير من وحي القرآن -محمد حسين فضل الله الشيعي.
6/ مقالات في تأصيل التفسير الأدبي البياني لأمين الخولي.
7/ التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن -بنت الشاطئ-.
8/ في ظلال القرآن، سيد قطب.

نقد التفسير البياني الأدبي:

أما عن عيوب هذا الاتجاه فيأتي على رأسها ما يلى:

1 - الحرية المطلقة للعقل فى فهم النصوص الشرعية، فإن عميد هذا الاتجاه وهو الشيخ محمد عبده يقول عن العقل: «إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل». والحقيقة ألا تعارض على الإطلاق بين الدين والعقل، أو بين الدين والعلم.

2 - صرف بعض النصوص الشرعية عن ظواهرها لتتفق مع عقولهم، وتذرعوا في ذلك بالتمثيل والتخييل.

3 - رد الأحاديث الصحيحة، التي تتعارض مع مبادئهم، بزعم أنها أحاديث آحاد، أو باحتمال أن الصحابة حدثوا بها عن أهل الكتاب، ونحو ذلك من التعليلات.

نموذج من التفسير الأدبي البياني

سورة الكوثر [86]

هي مكية وآياتها ثلاث، نزلت بعد سورة العاديات.

مناسبتها لما قبلها: أنه وصف فى الأولى الذي يكذب بالدين بأمور أربع:
البخل. الإعراض عن الصلاة. الرياء. منع المعونة- وهنا وصف ما منحه رسوله صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير، والحرص على الصلاة ودوامها، والإخلاص فيها والتصدّق على الفقراء.

أسباب نزول هذه السورة:

كان المشركون من أهل مكة والمنافقون من أهل المدينة يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويلمزونه بأمور:

(1) أنه إنما اتبعه الضعفاء ولم يتبعه السادة الكبراء، ولو كان ما جاء به الدين صحيحا لكان أنصاره من ذوي الرأي والمكانة بين عشائرهم، وهم ليسوا ببدع في هذه المقالة، فقد قال قوم نوح له فيما

قصه الله علينا: ﴿وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ﴾.

وقد جرت سنة الله فى خلقه أن يسرع فى إجابة دعوة الرسل الضعفاء، من قبل أنهم لا يملكون ما لا فيخافوا أن يضيع فى سبيل الدعوة الجديدة، ولا جاها ونفوذا فيخافوا أن يضيعا أمام الجاه الذي منحه صاحب الدعوة- وأن يتخلف عنها السادة الكبراء حتى يدخلوا فى دين الله وهم له كارهون، ومن ثم يظل الجدل بين أولئك الصناديد ورسل الله، ويأخذون فى انتقاصهم. وكيل التهم لهم تهمة بعد تهمة، والله ينصر رسله ويؤيدهم ويشدّ أزرهم. وعلى هذا السّنن سار أهل مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تخلف عنه سادتهم وكبراؤهم حسدا له ولقومه الأدنين.

(2) إنهم كانوا إذا رأوا أبناءه يموتون، يقولون: انقطع ذكر محمد وصار أبتر، يحسبون ذلك عيبا فيلمزونه به ويحاولون تنفير الناس عن اتباعه.

(3) إنهم كانوا إذا رأوا شدة نزلت بالمؤمنين طاروا بها فرحا وانتظروا أن تدول الدّولة عليهم وتذهب ريحهم، فتعود إليهم مكانتهم التي زعزعها الدين الجديد.

فجاءت هذه السورة لتؤكد لرسوله أن ما يرجف به المشركون وهم لا حقيقة له، ولتمحص نفوس الذين لم تصلب قناتهم، ولتردّ كيد المشركين فى نحورهم، ولتعلمهم أن الرسول منتصر لا محالة. وأن أتباعه هم المفلحون.

[سورة الكوثر (108) : الآيات 1 الى 3] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)﴾.

شرح المفردات:

الكوثر: المفرط فى الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، ويقال للرجل الكثير العطاء هو كوثر، قال الكميت الأسدى:

وأنت كثير يا ابن مروان طيّب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

والمراد به هنا النبوة والدين الحق والهدى وما فيه سعادة الدنيا والآخرة، والشانئ: المبغض، وأصل الأبتر: الحيوان المقطوع الذنب، والمراد به هنا ما لا يبقى له ذكر ولا يدوم له أثر- شبه بقاء الذكر الحسن واستمرار الأثر الجميل بذنب الحيوان من حيث إنه يتبعه وهو زينة له. وشبه الحرمان منه ببتر الذنب وقطعه.

الإيضاح:

(إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ) أي إنا أعطيناك من المواهب الشيء الكثير الذي بعجز عن بلوغه العدّ، ومنحناك من الفضائل ما لا سبيل للوصول إلى حقيقته، وإن استخف به أعداؤك واستقلوه، فإنما ذلك من فساد عقولهم، وضعف إدراكهم.

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) أي اجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك وما هو نسك لك لله أيضا، فإنه هو الذي رباك وأسبغ عليك نعمه دون سواه كما قال: تعالى آمرا له: «قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ».

وبعد أن بشر رسوله صلى الله عليه وسلم بأعظم البشارة، وطالبه بشكره على ذلك، وكان من تمام النعمة أن يصبح عدوه مقهورا ذليلا، أعقبه بقوله:

(إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) أي إن مبغضك كائنا من كان هو المقطوع ذكره من

(إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ) أي إنا أعطيناك من المواهب الشيء الكثير الذي بعجز عن بلوغه العدّ، ومنحناك من الفضائل ما لا سبيل للوصول إلى حقيقته، وإن استخف به أعداؤك واستقلوه، فإنما ذلك من فساد عقولهم، وضعف إدراكهم.

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) أي اجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك وما هو نسك لك لله أيضا، فإنه هو الذي رباك وأسبغ عليك نعمه دون سواه كما قال: تعالى آمرا له: «قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» .

وبعد أن بشر رسوله صلى الله عليه وسلم بأعظم البشارة، وطالبه بشكره على ذلك، وكان من تمام النعمة أن يصبح عدوه مقهورا ذليلا، أعقبه بقوله:

(إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) أي إن مبغضك كائنا من كان هو المقطوع ذكره من خيري الدنيا والآخرة، وأما أنت فستبقى ذريتك، ويبقى حسن صيتك، وآثار فضلك إلى يوم القيامة.

وشانئوه ما كانوا يبغضونه لشخصه، لأنه كان محبّبا إلى نفوسهم، بل كانوا يمقتون ما جاء به من الهدى والحكمة، لأنه سفّه أحلامهم، وعاب معبوداتهم، ونادى بفراق ما ألفوه ونشئوا عليه.

وقد حقق الله في شانئيه من العرب وغيرهم فى زمنه صلى الله عليه وسلم ما يستحقونه من الخذلان والخسران، ولم يبق لهم إلا سوء الذكر أما النبي صلى الله عليه وسلم، ومن اهتدى بهديه فإن الله رفع منزلتهم فوق كل منزلة، وجعل كلمتهم هى العليا.

قال الحسن رحمه الله: عنى المشركون بكونه أبتر: أنه ينقطع عن المقصود قبل بلوغه، والله بيّن أن خصمه هو الذي يكون كذلك. وصلّ ربنا على نبيك محمد الذي أعليت ذكره، وأذللت شانئه، صلاة تبقى ما بقي الدهر.

المحاضرة الثالثة عشر

الإعجاز القرآني:
1-الإعجاز اللغوي والبياني

مدخل:

أرسل الله نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة على فترة من الرسل بشيرًا ونذيرًا، كما أخبر سبحانه وتعالى بذلك في قوله :﴿وما أرسلناك إلا كافّة للنّاس بشيرًا ونذيرًا﴾ سبأ: 28 .وأيّدهُ بالمعجزات الباهرات، ومن أجلِّها وأعظمها معجزة القرآن الكريم، أنزله بلسان عربيّ مبين؛ لأنه لسان قومه الذين بعث فيهم. ومن سننه سبحانه، أنه ما أرسل من رسول إلا بلسان قومه، كما أخبر بذلك في سورة إبراهيم: ﴿**وما أرسَلْنا مِنْ رَسُول إلاّ بِلسَان قوْمِه ليبيَّن لهم**﴾ [إبراهيم: 4] .وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، أن يرسل إليهم رسلاً بلغاتهم ليفهموا منهم ما يريدون إبلاغه لهم وقد قضت سنة الله أنه ما أرسل من رسول إلا أيّده بمعجزة تؤيده في دعوته.

تعريف المعجزة:

تقول العرب: "عجَزَ الشَّخصُ: لم يكن حازمًا "عجَز مديرُ المصنع عن معاملة العُمَّال المشاغبين". عجَزَ عن الشَّيءِ: ضعُف ولم يقدر عليه. "عجَز عن تحقيق هدفه/ حمل الأثقال- اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ [حديث]- قال تعالى: ((قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ)). عجِزَ عن الشَّيء: عجَز عنه، ضعُف ولم يقدر عليه "عجِز عن العمل: كبِر ولم يعد يستطيعه[87]-

والمعجزة في الاصطلاح أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة. يُظهرُه الله على يد الرسول، برهانًا قاطعًا على صدقه، وأنه مُبَلِّغٌ عن الله. وهي أيضا: الأمر الذي يفوق طاقات البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة سلاحا للرسول ليثبت به صدق رسالته.

أنواع المعجزة:

والمعجزة نوعان: حسية ومعنوية. وقد كانت كل معجزات الرسل الذين سبقوا محمدًا من النوع الأول، الحسية: كمعجزة عصا موسى عليه السلام، ومعجزة الناقة لصالح عليه السلام، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى -بإذن الله- لعيسى عليه السلام. وهذه المعجزات قد انقضت بزمانها، وبقيت أخبارها للعبرة والعظة. أما النوع الثاني فهو المعجزة المعنوية. وهي معجزة تدرك بالعقل. وهذه معجزة سيدنا محمد [3]، وهي القرآن الكريم.

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

يقول القرطبي-رحمه الله في تفسيره: ووجوه إعجاز القرآن عَشْرَةٌ:

الوجه الأول: النَّظْمُ الْبَدِيعُ الْمُخَالِفُ لِكُلِّ نَظْمٍ مَعْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَفِي غَيْرِهَا. الوجه الثاني: الْأُسْلُوبُ الْمُخَالِفُ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ. الوجه الثالث: الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تَصِحُّ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَال. الوجه الرابع: التَّصَرُّفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ عَرَبِيٌّ، حَتَّى يَقَعَ مِنْهُمُ الِاتِّفَاقُ مِنْ جَمِيعِهِمْ عَلَى إِصَابَتِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ وَحَرْفٍ مَوْضِعَهُ. الوجه الخامس: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ في أول الدنيا.

الوجه السادس: الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ، المدرَك بالحسن فِي الْعَيَانِ، فِي كُلِّ مَا وَعَدَ اللَّهُ سبحان، وَيَنْقَسِمُ: إِلَى أَخْبَارِهِ الْمُطْلَقَةِ، كَوَعْدِهِ بِنَصْرِ رَسُولِهِ عليه السلام، وَإِخْرَاجِ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ مَنْ وَطَنِهِ. وإلى مُقَيَّدٍ بِشَرْطٍ، كَقَوْلِهِ: ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)) [الطلاق: 3]. الوجه السابع: الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ. الوجه الثامن: مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ جَمِيعِ الْأَنَامِ، فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ. الوجه التاسع: الْحِكَمُ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْدُرَ فِي كَثْرَتِهَا وَشَرَفِهَا مِنْ آدَمِيٍّ. الوجه العاشر: التَّنَاسُبُ فِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا))[88].

الإعجاز اللغوي والبياني:

وهو أبرز وجوه الإعجاز وأظهرها. إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن، فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا، وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك، فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها. والعرب أدركوا أول ما أدركوا إعجاز القرآن البياني، فملك منهم الألباب واستولى على الأفئدة.

ويطلق على هذا الإعجاز عدة مصطلحات فيسمى: "الإعجاز اللغوي" و"الإعجاز البياني" و"الإعجاز البلاغي" وتدخل في هذا المعنى أيضًا أقوالهم المختلفة في أن إعجاز القرآن "بلاغته" أو "فصاحته" أو "ما تضمنه من البديع" أو "نظمه" أو "أسلوبه" أو غير ذلك من فروع اللغة العربية[89].

إنّ هذا القرآن قد اشتمل من القاموس العربيّ على أحسن الكلمات وأفصحها، ((**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**)) [الزّمر: 23]، أمّا في تركيب جمله، وتناسق عباراته، ومقاطع آياته، فهو الفرد الّذي لا نظير له. ((**كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**)) [فصّلت: 3]، ((**وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**)) [الزّمر: 28].

فمهما بلغ كلام البشر من المعاني أو البيان أو البديع، فإنّ القرآن في ذروة ذلك، بل به عرف كلّ ذلك، فما وضعت علوم البلاغة إلّا بسببه، طريقا إلى فهمه، وإبرازا لعظيم قدره، وتأصيلا ليبني سائر الكلام

على قاعدته ونهجه، وأسرار ذلك لا تنتهي، ولن تنتهي. قال تعالى: ((وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)) [النّساء: 82].

أمثلة ونماذج من الإعجاز اللغوي والبياني:

1/ الوليد بن المغيرة يصف القرآن[90]:

وهذا الوليد بن المغيرة، وهو كافر يظهر العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصف القرآن الكريم وصفا دقيقا وصادقا يشهد بفضل كلام الله وعظمته وتميزه عن كلام المخلوقين؛ أخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وهو أحد رؤساء قريش، جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن. فكأنّه رقّ له، وقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة- يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فو الله ما هو بشعر، ولا سحر، ولا بهمز من الجنون، وإنّ قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا:

والله لئن صبأ الوليد لتصبون قريش. فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال: يا عمّ، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قريشا أنك تنكر له. فقال: وماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ. والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا.

والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه. فقال أبو جهل: والله ما يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قولا. قال: فدعني أفكر، فلما فكّر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره. فخرج على قومه بهذا القول الآثم، فأنزل الله فيه قوله تعالى: ((**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**)) [المدثر: 18-25].

2 -الكمال اللغوي: وذلك بالنزول عن التحدي بمثل القرآن كله إلى عشر سور مثله مفتريات -كما زعموا -إلى سورة واحدة من مثله. ولو هم أرادوا هذه السورة الواحدة ما استطاعوها. لأن إحساسهم منصرف إلى أصل الكمال اللغوي في القرآن، مستغرق فيه. فلا يرون المعارضة تكون إلا على هذا الأصل وهو شيء لا تناله القُدرة.

3 -التكرار: الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة. وهو مذهب للعرب معروف ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم للتوكيد والتهويل. بَيْدَ أن وروده فى القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفِطرة عن معارضته، وأنهم يخلون عنه لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلا توهماً، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة، لأنهم عجزوا عن السورة الواحدة. فكان عجزهم عن السورتين، وما عداهما أبين وأظهر.

4 -وجه تركيبه: فإنه مباين بنفسه لكل ما عُرِف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم، على أنه يؤاتى بعضه بعضاً، وتناسب كل آية منه كل آية أخرى في النظم والبلاغة. على اختلاف المعاني وتباين الأغراض. إذ يبدو كأنه قطعة واحدة، والبلغاء تختلف أساليبهم في أنفسها من القوة إلى الضعف لأسباب. وعِلل لا يصعب الكشف عنها في نفس القائل.

5 -لأنه ليس وضعاً إنسانياً: ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب، أو مَن جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا من الاختلاف فيه بين في طريقته ونسقه ومعانيه. وقد كان هذا سبباً من أسباب ضعف المعارضة فيهم. لأنهم لم يبلغوا شأواً يؤهلهم للإتيان بمثل القرآن.

6 -سلامة أسلوبه من القلق والاضطراب: فليس فيه من الغرابة التي يكسوها البلغاء كلامهم في تجويد وصفه وحبكه. إنما فيه غرابة الانسجام والسهولة التي يسيل بها القرآن، وهي سهولة الأوضاع الإلهية، التي يعرفها كل الناس ويعجز عنها كل الناس.

7 -الرهبة الظاهرة: وإلا أثر من التمكن يصف لك منزلة المخلوق من أمر الخالق، ولا تجد من أغراضه إلا ما كان في وصفه مادة لتلك الرهبة. ولذلك الأثر والروح.

8 -ما في أسلوبه من اللين والمطاوعة: على التقليب والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة، التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة، وكلام الناس لا يحتمل مثل هذه الوجوه. بل إنه كلما كان أدنى إلى البلاغة كان نصاً في معناه، ثابتاً في حيزه.

9 -ما فيه من البلاغة والفصاحة يقتضيه اقتضاءً طبيعياً. بحيث يبنى هو عليها ولا تبنى هي عليه فكل ما فيه من مجاز وتمثيل وكفاية لا يصح في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه، ولو أدرت اللغة على هذا الوضع.

10 -أن موسيقى ألفاظه نمط فريد ليس معروفاً لهم في كلامهم، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌّ من الاسترسال إليه، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية، كأنما يوقع إيقاعاً لا يتلى تلاوة.

11 -أنه لا يخلق على كثرة الرد، وطول الدهر، ولا تجد لذلك سراً إلا دقة النظم وإعجازه، وخصائصه الموسيقية، وتساوق حروفه على أصول مضبوطة من بلاغة النغم بالجهر والهمس والمد والغن، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطاً وإيجازاً وإفراداً وتركيباً

12 -أن القرآن انفرد بصوت الحس الذي خلت من صريحه لغتهم وهو الذي يتكون من دقة التصوير المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، بمجاذبة النفس مرة ومداهنتها منها مرة أخرى، والتنقل بها من شأن إلى شأن حتى تتصل بالمعنى وتصبح كأنها هي التي تطلبه فتقع في أسره. هذا الصوت خَلتْ منه لغتهم وانفرد به القرآن. لأنه من الكمال اللغوي الذي تعاطوه ولم يعطوه.

13 -أن بلاغة القرآن لا تعتمد على الخيال الشعرى، أو العادة الثابتة، أو العاطفة المطمئنة، وإنما يرجع الأسر فيها إلى جرس الحروف في الكلمات ومواقع الحروف والكلمات وطريقة نظمها.

14 -أنه يتلطف في تحريك المشاعر والرفق بها فلا تضيق به النفس، ولا تتخونها منه ملالة.

15 -أن القرآن بمادته اللغوية أصبح فوق اللغة التي يحذقها اللسن من الناس لأنها في القرآن في تركيب ممتنع أن يأتي بمثله الناس. فخرجت من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم. وكونت طبقة عقلية من اللغة ومن ثَم تتنزل الأفكار منزلة التوهم الطبيعي الذي يؤثر بالصفة ما يؤثر بالشيء الموصوف. بل بما وفَّى وزاد.

16 -أن الحركات النحوية والصرفية في القرآن لها من حكم البلاغة والفصاحة ما للكلمات والتركيب، لشدة ما بينها من تلازم واتساق. وهذا سر من أسرار الإعجاز فيه.

المحاضرة الرابعة عشر

الإعجاز القرآني:
2-الإعجاز الإخباري والتشريعي

ثانيا: الإعجاز الإخباري:

ويقصد به الغيبيات المتعلقة بأحداث مقبلة، والتي لم يظهرها بعد أيّ شاهد من العقل أو الحس أو الدلائل التي تعوّد الإنسان على الاعتماد عليها. سواء تعلقت هذه الأخبار بأحداث عامة، أو تعلقت بأناس أو فئات بأعيانهم، أو تعلقت بنواميس كونية.

ففي القرآن آيات كثيرة أخبرت عن أحداث ستقع في زمن مقبل، وفيه آيات تحدّثت عن مصائر أشخاص بأعيانهم، وفيه نصوص تقرر قوانين ثابتة بالنسبة لكثير من المظاهر الكونية المحيطة بنا. وقد جاء الزمن فيما بعد بمصداق هذه الأخبار كلها، دون أن يكون عليها أيّ شاهد من قبل، من حس أو عقل أو أيّ بيّنة من البيّنات[91]. فمن النوع الأول قول الله عز وجل: ((**الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ**)) [الروم: 1-2]

والإعجاز فيما تضمّنه القرآن من الأنباء، أربعة أشياء:

أوّلها: الإخبار عن الغيب المطلق، كالخبر عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته، والملائكة، وصفة الجنّة وصفة النّار. وقد أتى القرآن في هذا الأمر بما لا يدركه بشر من تلقاء نفسه، إذ طريقه لا يكون من جهة العقول، إنّما طريقه السّمع الّذي ((**لَا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**)) [فصّلت: 42].

وثانيها: الإخبار عن الأمور السّابقة، كالخبر عن بدء الخلق، وعن الأمم السّالفة. وقد قصّ علينا القرآن من ذلك عجبا، وأتى من الأنباء بما لم يملك المنصفون من أهل الكتاب والعلم إلّا تصديقه، كما قال الله عز وجل: ((وَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)) [الأنعام: 114]، وقال تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ)) [الأحقاف: 10]، وقال سبحانه: ((وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ)) [الشّعراء: 192-197]. فجاء ما آتاه الله من ذلك تصديقا لما بين يديه، وما تعلّم من أحد من إنس ولا جنّ، ((وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ)) [العنكبوت: 48]. ((وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ)) [الشّورى: 52]. وقال سبحانه: ((إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ)) [يوسف: 2-3]. فقصّ

الله سبحانه قصّة نوح، ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: ((تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا)) [هود: 49]. وفصّل قصّة يوسف، ثمّ قال: ((ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)) [يوسف: 102]. وقصّ طرفا من نبأ موسى، ثمّ قال: ((وَما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَلكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَلكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ)) [القصص: 44-46]. وقال بعد ذكر قصّة مريم: ((ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)) [آل عمران: 44].

ما أعظمها من منّة يمتنّ الله عز وجل بها على نبيّه صلى الله عليه وسلم! وما أعظمها من معجزة خرقت جميع قوانين الخلق في التّعلّم والتّلقّي! يبلغ صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره وهو بين قومه، يعرفونه بالأمّيّة، لا يقرأ ولا يكتب، ولم يعرفوه بمجالسة معلّم، ثمّ يظهر للنّاس بما لا طاقة لهم بمثله. وحين افتروا فقالوا: إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، قال الله عز وجل: ((لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)) [النّحل: 103].

ويستمرّ التّحدّي، فيجعل الله عز وجل من الواقع المشاهد دليلا على صدق ما جاء به نبيّه صلى الله عليه وسلم: ((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْراهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) [الحج: 42-46].

وثالثها: الإخبار عمّا يكون في مستقبل الزّمان، كالإخبار عن الشّيء قبل وقوعه في عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، أو عمّا سيكون بعد ذلك. كما في قوله عز وجل: ((الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ 5 [الرّوم: 1 - 5].

وقد صحّت الرّواية بتحقّق ما أخبرت به هذه الآيات عن غير واحد من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك حديث نيار بن مكرم الأسلميّ، قال:

لمّا نزلت ((الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ)) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للرّوم، وكان المسلمون يحبّون ظهور الرّوم عليهم؛ لأنّهم وإيّاهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى: ((وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)) 5، فكانت قريش تحبّ ظهور فارس؛ لأنّهم وإيّاهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلمّا أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصّدّيق يصيح في نواحي مكّة: ((الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ))، قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أنّ الرّوم ستغلب فارسا

في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرّهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرّهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسمّ بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسمّوا بينهم ستّ سنين، قال: فمضت السّت سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلمّا دخلت السّنة السّابعة ظهرت الرّوم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ستّ سنين؛ لأنّ الله تعالى قال: ((فِي بِضْعِ سِنِينَ))، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير. كذلك ما تضمّنه القرآن من الإخبار عن أشراط السّاعة، والبعث بعد الموت، والحشر والحساب، والمصير إلى الجنّة أو إلى النّار، بما لا سبيل للبشر إلى معرفته إلّا بوحي الله عز وجل، جميعه برهان على أنّ القرآن كلام الله.

ورابعها: الإخبار عمّا تكنّه النّفوس وتخفيه الضّمائر، ممّا لا يمكن أن يعلمه إلّا الله، ولا يصل إلى علم النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلّا بوحي الله. كالّذي تراه في سورة التّوبة من ذكر أسرار المنافقين، حتّى خاف النّاس أن ينزل القرآن بأسمائهم يظهر حقائق ما في نفوسهم. كما قال سعيد بن جبير: قلت لابن عبّاس: سورة التّوبة، قال: التّوبة؟، قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: وَمِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ، حتّى ظنّوا ألا يبقى منّا أحد إلّا ذكر فيها[92].

الإعجاز التّشريعيّ:

ويكمن فيما أودع الله في كتابه من القوانين الّتي تشهد في استقامتها وعدلها وصلاحها لكلّ زمان أنّها من عند الله، وأن لا طاقة للخلق أن يوجدوا لها نظيرا، مهما بلغت العقول. ذلك أنّ التّشريع مبنيّ على تحقيق مصالح العباد في الدّارين، ولا يحيط بتلك المصالح أحد من خلق الله؛ لقصور العلم، والنّقص بالطّبع، لكنّ الله سبحانه هو الخالق، فهو أعلم بخلقه وحاجتهم وما يكون به صلاحهم وفسادهم، ((**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)) [الملك: 14].

فلذا جاء تشريعه موصوفا بالحسن المطلق وبالحقّ المطلق، كما قال عز وجل: وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة: 50]، وقال: ((**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**)) [الفرقان: 33]، وقال تعالى: ((**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزانَ**)) [الشّورى: 17]، وقال عز وجل: ((**إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً**)) [البقرة: 119]، وقال سبحانه: ((**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ**)) [الأنعام: 66]،

وقال تعالى: ((**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**)) [الإسراء: 105]، وقال عز وجل: ((**وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**)) [المائدة: 48]. ولو كان من عند غير الله لما صحّ في العقول أن يكون هو الحقّ المطلق. أو يكون أحسن قانون وتشريع، مهما رجحت عقول مقنّنيه، فإنّه ما من قوم إلّا ولهم من الشّرائع والقوانين ما يسيّرون به شئون حياتهم، لكنّهم لا يفتؤون يغيّرون ويصلحون، ولو وصفوا قانونهم بالحقّ المطلق لتعذّر عليهم تبديله والاستدراك عليه.

وإنّما هذه أوصاف لا تكون إلّا لما هو خارج عن قدرات المخلوقين. ((**كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**)) [هود: 1]. ((**وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**)) [فصّلت: 41-42]. فأنزل القرآن حين أنزل، وهو إلى اليوم، وسيبقى إلى آخر الدّهر، لا يجد النّاس سبيلا إلى نقض شيء من أحكامه وشرائعه، مهما سعى الكفّار والّذين في قلوبهم مرض لإبطال ما جاء به من الحقّ والعدل والهدى، كما لا يجدون سبيلا للإتيان بما هو أحسن منه، إذ لا أحسن منه.

خصائص الإعجاز التشريعي:

أ- لا تعارض بين التشريع والعقل بدليل:

- إعجاز القرآن في كونه صالحًا ومُصلحًا لكل زمان ومكان. جاء بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر.

- إصلاح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد، وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر.

- إصلاح العبادات عن طريق إرشاد الخلق إلى ما يزكي النفوس، ويغذي الأرواح ويقوم الإرادة، ويفيد الفرد والمجموع منها.

- إصلاح الأخلاق: عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلهم، وتنفيرهم من رذائلها في قصد واعتدال، وعند حدٍّ وسط، لا إفراط فيه ولا تفريط.

- إصلاح الاجتماع: عن طريق إرشاد الخلق إلى توحيد صفوفهم، ومحو العصبيات، وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم. قال تعالى: ((وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)) [المؤمنون: 52].

- إصلاح السياسة أو الحكم الدولي: عن طريق تقرير العدل المطلق، والمساواة بين الناس، ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات؛ من الحق والعدل والوفاء بالعهود والرحمة والمواساة والمحبة واجتناب الرذائل من الظلم والغدر ونقض العهود والكذب والخيانة والغش وأكل أموال الناس بالباطل: كالرشوة والربا والتجارة بالدين والخرافات.

- الإصلاح المالي: عن طريق الدعوة إلى الاقتصاد، وحماية المال من التلف والضياع، ووجوب إنفاقه في وجوه البر، وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع.

- الإصلاح النسائي: عن طريق حماية المرأة واحترامها وإعطائها جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

- الإصلاح الحربي: عن طريق تهذيب الحرب، ووضعها على قواعد سليمة لخير الإنسانية في مبدئها، وغايتها، ووجوب التزام الرحمة فيها، والوفاء بمعاهداتها، وإيثار السلم عليها، والاكتفاء بالجزية عند النصر، والظفر فيها.

- محاربة الاسترقاق في المستقبل وتحرير الرقيق الموجود بطرق شتى: منها الترغيب العظيم في تحرير الرقاب، وجعله كفارة للقتل، وللظهار، ولإفساد الصيام بطريقة فاحشة، ولليمين الحانثة، ولإيذاء المملوك باللطم أو الضرب.

- تحرير العقول والأفكار، ومنع الإكراه، والاضطهاد، والسيطرة الدينية القائمة على الاستبداد والغطرسة ((فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)) [الغاشية: 21-22].

ب - **إعجاز في أن تشريعاته؛ مهما حاولت التشريعات الوضعية أن تأتي بمثلها فلن تستطيع.** والدليل على هذا الوجه من إعجاز القرآن: أن غير المسلمين كانوا ولا يزالون حائرين يبحثون عن النور، وينقبون عما يفي بحاجتهم في كثير من نواحي حياتهم حتى اضطّروا تحت ضغط هذه الحاجة، وبعد طول المطاف، وقسوة التجارب أن يرجعوا إلى هداية القرآن من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وشواهد ذلك:

- أمريكا حرّمت الخمر أخيرًا، ولكنها فشلت ولم تنجح؛ لأنها لم توفق إلى الطريقة الحكيمة التي اتبعها الإسلام في تحريم الخمر.

- أمريكا أباحت الطلاق، وإن كانت قد أسرفت فيه إلى درجة ضارّة - أسبانيا أصدرت حكومتها قانونًا بمنع البغاء الرسمي في بلادها، وبمنع النساء من البروز على الشواطئ في ثياب الاستحمام.

- مصلحوا أوروبا يرفعون أصواتهم بضرورة الرجوع إلى مبدأ تعدد الزوجات حتى بعض نسائهم طالبن بهذا.

- اليهود يطالبون أيضًا بتعدد الزوجات، وقد تزعَّم هذه الحركة يهودي اسمه: مورشه ليكفر مان، وبرهن على أن ذلك من أحكام الدين اليهودي. وطلب إلى اليهود إلغاء قرار الحاخام غرشون الذي تعدى حدود الدين اليهودي؛ بإبطاله الزواج بأكثر من واحدة، وأصبح له أتباع كثيرون.

- زعيم فرنسا نادى غداة هزيمتها في حرب من الحروب يقول: إن سبب انهيار دولتهم هو انغماسهم في الشهوات الجنسية، وإسرافهم في المفاسد والمفاتن.

ج - **عرض التشريع في القرآن فيه حث للقلوب على الخضوع له، لا أنها قوانين صارمة:**

جمع القرآن في أسلوبه ونظمه بين مقصدين: مقصد الموعظة، ومقصد التشريع؛ فنظمه يفيد بظاهره السامع ما يحتاج إلى علمه، وهو في ذلك يشبه خطب العرب. ومع ذلك فقد ضم معناه ما يستخرج منه العلماء الأحكام الكثيرة في التشريع، وفي الآداب وغيرها[93].

الخاتمة

الخاتمة

عزيزي الطالب: بين يديك الآن مقرر مادة علوم القرآن كاملا، وهو معدٌّ على أساس أن تدرسه عن بعد ولوحدك ولن تجد في ذلك أيّ إشكال أو صعوبة بإذن. فأسلوبه سهل ميسر، وشواهده موثقة، ومصادره ومراجعه مثبتة، كي يتسنى لك التوسع والتحقق. وما عليك سوى اتباع الخطوات التالية كي تستفيد من هذه المحاضرات أقصى استفادة:

- ✓ تحميل الدروس جملة واحدة، والاحتفاظ بها مخزنة في هاتفك أو حاسوبك.
- ✓ طباعتها ورقيا إن تيسر لك ذلك، أو وجدت صعوبة في قراءتها إلكترونيا.
- ✓ قراءة صفحة التعريف بالمادة أولا.
- ✓ قراءة مقدمة المحاضرات.
- ✓ قراءة استكشافية أولية للمحاضرة.
- ✓ قراءة ثانية للمحاضرة مع التركيز، والتسطير تحت الكلمات والعبارات الأساسية.
- ✓ قراءة ثالثة مع التلخيص بأسلوبك، واستعمال الخرائط الذهنية.
- ✓ تسجيل كل ملاحظاتك وتساؤلاتك التي اعترضتك، لتسأل أستاذ المادة عنها.

وفي الختام لا يسعني إلا ان أتمنى لك التوفيق والنجاح، والله أسأل أن ينفع بهذه المحاضرات كل طالب علم، وأن يجعل لها القبول.

الهوامش والإحالات

الهوامش والإحالات

[1] – سنن الترمذي، الترمذي محمد بن عيسى، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ج5، ص172، رقم الحديث: 2906.

[2] – التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ط1، 2010م، ص8.

[3] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1974م، ج1، ص167.

[4] – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى محمد بن يعقوب، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، دط، 1996م، ج1، ص88.

[5] – صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، سوريا، ط5، 1993م، ج4، ص1919، رقم الحديث: 4739.

[6] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001م، ج42، ص226، رقم الحديث: 25365.

[7] – المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط2، د.ت.ط، ج12، ص125، رقم الحديث: 12662.

[8] – صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد ذهني أفندي وآخرون، دار الطباعة العامرة، تركيا، دط، 1334هـ، ج1، ص553، رقم الحديث: 804.

[9] – شعب الإيمان، البيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج2، ص325، رقم الحديث: 1934.

[10] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي محمد بن عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج1، ص8.

[11] – مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، ابن النقيب المقدسي محمد بن سليمان، تحقيق زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، 1994م، ص9-10.

[12] – من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دط، 1999م، ص17.

[13] – عالمية اللغة العربية، محمد مصطفى بن الحاج، ص274. نقلا عن كارل بروكلمان.

[14] – ينظر: من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان، ص17.

[15] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2008م، ج3، ص2195.

[16] – الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص555.

[17] – مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني محمد عبد العظيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط3، دتط، ج1، ص41.

[18] – المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، مكتبه السنة، القاهرة، مصر، ط2، 2003م، ص48.

[19] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج1، ص149.

[20] – ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص46.

[21] – نفس المرجع، ج1، ص46-47.

[22] – صحيح البخاري، البخاري، ج1، ص4، رقم الحديث: 3.

[23] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج3، ص2173.

[24] – مناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص239.

[25] – المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، ص270.

[26] – أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، ج2، ص607.

[27] – المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، ص270.

[28] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، السعودية، ط3، 1992م، ص93.

[29] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص52.

[30] – ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص331-332

[31] – المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، محمد علي الحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص166.

[32] – لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، حواشي اليازجي وآخرين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، مادة: سور، ج4، ص386-387.

[33] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج3، ص1823.

[34] – الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص430.

[35] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط3، 2000م، ص316-317.

[36] – تفسير الرازي –مفاتيح الغيب–، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ، ج8، ص83-84.

[37] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص317.

[38] – مناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص106.

[39] – علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، سوريا، ط1، 1993م، ص47-48.

[40] – مناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص109-111.

[41] – أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، ص10.

[42] – الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج6، ص57.

[43] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص29.

[44]– نفس المرجع والصفحة.

[45]– نفس المرجع، ج1، ص31.

[46] – ينظر: علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ص49-53.

[47] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص192.

[48]– ينظر: المدخل لعلوم القرآن، محمد أبو شهبة، ص222-223.

[49]– ينظر: المرجع نفسه، ص226-227.

[50]– علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر، ص67-68.

[51]– المدخل لعلوم القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، ص231.

[52] – ينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص69–77.

[53]– الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة السدوسي، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط3، 1998م، ص5–6.

[54]– ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص246.

[55] – ينظر: الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط2، 1999، ج1، ص470.

[56] – الأحرف السبعة والقراءات، سيد محمد عبد الله، https://islamonline.net/، 2023/10/10، سا 20:00.

[57] – دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، العربية السعودية، ط12، 2003، ص18–19.

[58] – ينظر: الموسوعة العربية العالمية، أحمد الشويخات وآخرون، مؤسسة اعمال الموسوعة، السعودية، ط3، 1999، مادة: القرآن.

[59]– خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج1، ص262.

[60] – السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص53–102.

[61] – صحيح البخاري، البخاري، ج4، ص109–110، رقم الحديث: 4706.

[62] – تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، سعيد أحمد حافظ شريدح، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، دط، دتط، ص56.

[63] – ينظر: التبيان في علوم القرآن، الصابوني، ص215–217.

[64] – المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، ص48.

[65] – مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن، ص489.

[66] – لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، ج5، ص55.

[67] – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف، ج1، ص26.

[68] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص13.

[69] – مناهل العرفان، الزرقاني، ج2، ص133.

[70] – نفس المرجع، ج2، ص10.

[71] – ينظر: التبيان في علوم القرآن، الصابوني، ص90.

[72] – الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص58.

[73] – ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج4، ص216.

[74] – ينظر: التبيان في علوم القرآن، الصابوني، ص63–88.

[75] – ينظر: علم التفسير نشأته وتطوره، مجد خضر، https://mawdoo3.com، 2021/10/19.

[76]– سنن الترمذي –الجامع الكبير–، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م، ج5، ص212، رقم الحديث: 3183.

[77]– معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي تحقيق محمد النمر وآخران، دار طيبة، السعودية، ط4، 1997م، ج1، ص46.

[78]– المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ، ص43–44.

[79]– التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1432هـ، ص38.

[80]– نفس المرجع، ص39.

[81]– استدراكات السمين الحلبي على ابن عطية، هنادي الموسى، رسالة: ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1433-1434هـ، ص211-212.

[82]– مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص273.

[83]– نفس المرجع، ج1، ص111.

[84]– غريب القرآن، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، 1978، ص541-542.

[85]– الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، دط، ٢٠٠٢م، ص286-288.

[86]– تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1964م، ج30، ص251-254.

[87]– معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، ج2، ص1459.

[88]– ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1964م، ج1، ص74-75.

[89]– دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط12، 2003م، ص282.

[90]– دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، ط1، 1988م، ج2، ص198-199.

[91]– تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل –، البوطي، ص148.

[92]– ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، بد الله بن يوسف الجديع العنزي، مركز البحوث الإسلامية ليدز، بريطانيا، ط1، 2001م، ص23-28.

[93]– موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ج4، ص94-97.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
مفردات المادة	07
مقدمة	09
محاضرة (01): تعريفات: أهمية القرآن وعلومه، القرآن في الدراسات اللغوية والأدبية	11
محاضرة (02): تاريخ القرآن -1- نزول القرآن، بدايات الوحي، التنجيم	16
محاضرة (03): تاريخ القرآن -2- مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب السور والآيات (وقفية أم اجتهادية)	21
محاضرة (04): مكونات النص القرآني -1- اللفظة، العبارة، الآية، السورة	26
محاضرة (05): مكونات النص القرآني -2- القصة القرآنية، خصائصها، أهدافها	31
محاضرة (06): سياقات النص القرآني: 1/السياق السببي (أسباب النزول) 2/السياق المكاني (المكي والمدني) ..	36
محاضرة (07): سياقات النص القرآني: 3/أ- السياق التراتبي (أول وآخر ما نزل من القرآن) 3/ب-(الناسخ والمنسوخ)	49
محاضرة (08): سياقات النص القرآني: 4-السياق التداولي: (القراءات القرآنية، مفهومها، أنواعها، الحكمة منها)	55
محاضرة (09): مناهج التفسير ونقدها -1- معنى التفسير والتأويل والشرح، شروط المفسر (العلمية والذاتية)، تاريخ التفسير، (في عهد الصحابة، والتابعين وعصر التدوين)	61
محاضرة (10): مناهج التفسير ونقدها -2- التفسير بالمأثور: خصائصه، أعلامه، نقده، التفسير بالرأي : خصائصه، أعلامه، ونقده	67
محاضرة (11): مناهج التفسير ونقدها : -3- التفسير اللغوي: خصائصه، أعلامه، نقده.	73
محاضرة (12): مناهج التفسير ونقدها : -4- التفسير البياني والأدبي: خصائصه، أعلامه، ونقده	77
محاضرة (13): الإعجاز القرآني -1- الإعجاز اللغوي والبياني	83
محاضرة (14): الإعجاز القرآني -2- الإعجاز الإخباري والتشريعي	89
خاتمة	95
فهرس الهوامش والإحالات	97
فهرس المحتويات	102